ماورد في كتاب خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام للمفتي الدحلاني عن الوهابية

﴿ابتداء فتنة الوهابية مع الرد عليهم بما يبطل ما ابتدعوه سنة ١٢٠٥﴾

وفى هذه السنة كان ابتداء الحرب والقتال بين مولانا الشريف غالب وطائفة الوهابية التابعين لمحمد
ابن عبد الوهاب فى عقيدته التى كفر بها المسلمين وينبغى قبل ذكر المحاربة والقتال ذكر ابتداء أمرهم

وحقيقة حالهم فان فتنتهم من أعظم الفتن التى ظهرت فى الاسلام طاشت من بلاياها العقول وحار
فيها أرباب المعقول وكان ابتداء ظهور محمد بن عبد الوهاب سنة ألف ومائة وثلاث وأربعين واشتهر
أمره بعد الخمسين فاظهر العقيدة الزائغة بنجد وقرأها فقام بنصرته واظهار عقيدته محمد بن سعود
أمير الدرعية بلاد مسيلمة الكذاب فحمل أهلها على متابعة محمد بن عبد الوهاب فيما يقول فتابعه
أهلها وسيأتى ذكر شئ من عقيدته التى حمل الناس عليها ومازال يطيعه على هذا الامر كثير من
أحياء العرب حى بعد حى حتى قوى أمره فخافته البادية وكان يقول لهم انما أدعوكم الى التوحيد وترك
الشرك بالله فكانوا يمشون معه حيثما مشى ويأتمرون له بما شا حتى اتسع له الملك وكانوا فى مبدا
أمورهم قبل اتساع ملكهم وتطاير شرورهم رام امواج البيت الحرام وكان ذلك فى دولة الشريف
مسعود بن سعيد بن سعد بن زيد فارسلوا يستأذنونه فى الحج وأرسلوا قبل ذلك ثلاثين من علمائهم ظنا
منهم أنهم يفسدون عقائد علماء الحرمين ويدخلون عليهم الكذب والمين وطلبوا الاذن فى الحج
ولو بعقر ريد فعونه كل عام وكان أهل الحرمين يسمعون بظهورهم فى الشرق وفساد عقائدهم ولم يعرفوا

حقيقة ذلك فأمر مولانا الشريف مسعود ان يناظر علماء الحرمين العلماء الذين أرسلوهم فناظروهم
فوجدوهم ضحكة ومسخرة كحمر مستنفرة فرت من قسورة ونظروا الى عقائدهم فاذا هي مشتملة على
كثير من المكفرات فبعد أن أقاموا عليهم البرهان والدليل أمر الشريف مسعود قاضي الشرع ان
يكتب حجة بكفرهم الظاهر ليعلم به الاول والآخر وأمر بسجن أولئك الملاحدة الانذال ووضعهم
في السلاسل والاغلال فسجن منهم جانبا وفر الباقون ووصلوا الى الدرعية وأخبروا بما شاهدوا
فعتا أمرهم واستكبروا ونأى عن هذا المقصد وتأخر حتى مضت دولة الشريف مسعود وأقيم بعده
أخوه الشريف مساعد بن سعيد فارسلوا في مدته يستأذنون في الحج فأبى وامتنع من الاذن لهم
فضعفت عن الوصول مطامعهم فلما مضت دولة الشريف مساعد وتقلد الامر أخوه الشريف أحمد
ابن سعيد أرسل أمير الدرعية جماعة من علمائه كما أرسل في المدة السابقة فلما اختبرهم علماء مكة
وجدوهم لا يتدينون الا بدين الزنادقة فأبى أن يقر لهم في حمى البيت الحرام قرار ولم يأذن لهم في
الحج بعد ان ثبت عند العلماء انهم كفار كما ثبت في دولة الشريف مسعود فلما ان ولي الشريف سرور
أرسلوا أيضا يستأذنونه في زيارة البيت المعمور فأجابهم بأنكم ان أردتم الوصول آخذ منكم في كل
سنة وعام صرمة مثل ما نأخذها من الاعجام وآخذ منكم زيادة على ذلك مائة من الخيل الجياد فعظم
عليهم تسليم هذا المقدار وان يكونوا مثل العجم فامتنعوا من الحج في مدته كلها فلما توفي وتولى سيدنا
الشريف غالب أرسلوا أيضا يستأذنون في الحج فمنعهم وتمددهم بالركوب عليهم وجعل ذلك القول

فعلا تجهز عليهم جيشا فى سنة ألف ومائتين وخمسة واتصلت بينهم المحاربات والغزوات الى أن
انقضى تنفيذ مراد الله فيما أراد وسيأتى شرح تلك الغزوات والمحاربات بعد توضيح ما كانوا عليه من
العقائد الزائغة التى كان تأسيسها من محمد بن عبد الوهاب وقد عاش من العمر سنين حتى كاد أن يعد
من المنظرين فان ولادته كانت سنة ألف ومائة واحدى عشرة ووفاته سنة ألف ومائتين وسبعة
وأرخ بعضهم وفاته بقوله (بها هلاك الخبيث) فعمره اثنتان وتسعون سنة وخلف أولادا أخبث

(أعنى سنة ١٢٠٧)   ١١٤٣   ٦٤

منه قاموا بنشر دعوته بعده وأولاده هم عبد الله وحسن وحسين وعلى وكان عبد الله الاكبر فقام
بالدعوة بعد أبيه وخلف سليمان وعبد الرحمن وكان سليمان متعصبا تعصبا شديدا فى أمرهم قتله
ابراهيم باشا سنة ثلاث وثلاثين وعبد الرحمن قبض عليه وأرسله الى مصر فعاش مدة ثم مات بمصر وأما
حسن بن محمد بن عبد الوهاب فخلف عبد الرحمن وولى قضاء مكة فى بعض السنين التى كانوا يحكمون
فيها بمكة وعمر عبد الرحمن هذا حتى قارب المائة ومات قريبا وخلف عبد اللطيف وأما حسين بن محمد
ابن عبد الوهاب فخلف أولادا كثيرين وكذا على بن محمد بن عبد الوهاب خلف أولادا كثيرين ولم يزل
نسلهم باقيا الى الآن بالدرعية يسمونهم أولاد الشيخ وكان القائم بنصرة محمد بن عبد الوهاب ونشر
عقيدته محمد بن سعود والامامات قام بعده بالامر ولده عبد العزيز ثم ولده سعود وكان محمد بن عبد الوهاب
فى ابتداء أمره من طلبة العلم وكان يتردد على مكة والمدينة وأخذ عن كثير من علماء مكة والمدينة
وممن أخذ عنه من علماء المدينة الشيخ محمد بن سليمان الكردى مؤلف حواشى شرح مختصر
بافضل فى مذهب الشافعى وأخذ أيضا عن الشيخ محمد حياة السندى من أكابر علماء الحنفية بالمدينة
وكان الشيخان المذكوران وغيرهما من أشياخه الذين أخذ عنهم يتفرسون فيه الالحاد والضلال

ويقولون سيضل هذا و يضل الله به من أبعده وأشقاه فكان الامر كذلك وما أخطأت فراستهم فيه وكذا والده عبد الوهاب فانه كان من العلماء الصالحين فكان يتفرس فيه الالحاد ويذمه كثيرا ويحذر الناس منه وكذا أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب فانه أنكر عليه ما أحدثه من البدع والضلال والعقائد الزائغة وألف كتابا في الرد عليه وكان في أول أمره مولعا بمطالعة أخبار من ادعى النبوة كاذبا كمسيلمة الكذاب وسجاح والاسود العنسي وطليحة الأسدي واضرابهم فكان يضمر في نفسه دعوى النبوة ولو أمكنه اظهار هذه الدعوى لاظهرها وكان يسمي جماعته من أهل بلده الانصار ويسمي من اتبعه من الخارج المهاجرين واذا اتبعه أحد وكان قد حج حجة الاسلام يقول له حج ثانيا فان حجتك الاولى فعلتها وأنت مشرك فلا تقبل ولا تسقط عنك الفرض واذا أراد أحد أن يدخل في دينه يقول له بعد الاتيان بالشهادتين اشهد على نفسك انك كنت كافرا واشهد على والديك أنهما ماتا كافرين وأشهد على فلان وفلان ويسمي له جماعة من أكابر العلماء الماضين انهم كانوا كفارا فان شهدوا قبلهم والا أمر بقتلهم وكان يصرح بتكفير الامة من منذ ستمائة سنة وكان يكفر كل من لا يتبعه وان كان من اتقى المتقين فيسميهم مشركين ويستحل دماءهم وأموالهم ويثبت الايمان لمن اتبعه وان كان من أفسق الفاسقين وكان ينتقص النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا بعبارات مختلفة ويزعم ان قصده المحافظة على التوحيد فمنها ان يقول انه طارش وهو في لغة أهل الشرق بمعنى الشخص المرسل من قوم الى آخرين بمعنى انه صلى الله عليه وسلم حامل كتب مرسلة معه أي غاية أمره انه كالطارش الذي يرسله الامير أو غيره في أمر لاناس ليبلغهم اياه ثم ينصرف ومنها انه كان يقول نظرت في قصة الحديبية فوجدت بها كذا كذبة الى غير ذلك مما

يشبه هذا حتى ان أتباعه كانوا يفعلون ذلك أيضا ويقولون مثل قوله بل يقولون أقبح مما يقوله
ويخبرونه بذلك فيظهر الرضا وربما انهم تكلموا بذلك بحضرته فيرضى به حتى ان بعض أتباعه
كان يقول عصاى هذه خير من محمد لانها ينتفع بها فى قتل الحية ونحوها ومحمد قد مات ولم يبق فيه
نفع أصلا وانما هو طارش ومضى قال بعض العلماء ان ذلك كفر فى المذاهب الاربعة بل هو كفر
عند جميع أهل الاسلام ومن ذلك انه كان يكره الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم و يتأذى
بسماعها و ينهى عن الاتيان بها ليلة الجمعة وعن الجهر بها على المنائر و يؤذى من يفعل ذلك
و يعاقبه أشد العقاب حتى انه قتل رجلا أعمى كان مؤذنا صالحا ذا صوت حسن نهاه عن الصلاة
على النبى صلى الله عليه وسلم فى المنارة بعد الاذان فلم ينته وأتى بالصلاة على النبى صلى الله عليه
وسلم فأمر بقتله فقتل ثم قال ان الربابة فى بيت الخاطئة يعنى الزانية أقل اثما من ينادى بالصلاة على
النبى صلى الله عليه وسلم فى المنائر و يلبس على أصحابه وأتباعه بان ذلك كله محافظة على التوحيد
فما أفظع قوله وما أشنع فعله وأحرق دلائل الخيرات وغيرها من كتب الصلاة على النبى صلى الله
عليه وسلم و يتستر بقوله ان ذلك بدعة وانه يريد المحافظة على التوحيد وكان يمنع أتباعه من مطالعة
كثير من كتب الفقه والتفسير والحديث وأحرق كثيرا منها وأذن لكل من تبعه أن يفسر القرآن
بحسب فهمه حتى همج الهمج من أتباعه فكان كل واحد منهم يفعل ذلك ولو كان لا يحفظ شيأ من
القرآن حتى صار الذى لا يقرأ منهم يقول لمن يقرأ اقرأ لى شيأ من القرآن وأنا أفسره لك فاذا قرأ
له شيأ يفسره وأمرهم أن يعملوا بما فهموه منه وجعل ذلك مقدما على كتب العلم ونصوص العلماء
وغلا فى تكفير الناس بآيات نزلت فى المشركين فحملها على الموحدين وقد روى البخارى فى

صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في وصف الخوارج انهم انطلقوا الى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين وفي رواية أخرى عن ابن عمر عند غير البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال أخوف ما أخاف على أمتي رجل متأول للقرآن يضعه في غير موضعه فهذا وما قبله صادق على ابن عبد الوهاب ومن تبعه ومما يدعيه محمد بن عبد الوهاب انه أتى بدين جديد كما يظهر من أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا لم يقبل من دين نبينا صلى الله عليه وسلم الا القرآن مع أنه انما قبله ظاهرا فقط لئلا يعلم الناس حقيقة أمره فينكشفوا عليه بدليل انه هو وأتباعه انما يؤولونه بحسب ما يوافق أهواءهم لا بحسب ما فسره النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والسلف الصالح وأئمة التفسير فانه لا يقول بذلك كما انه لا يقول بما عدا القرآن من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وأقاويل الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين ولا بما استنبطه الأئمة من القرآن والحديث ولا يأخذ بالاجماع ولا القياس الصحيح وكان يدعي الانتساب الى مذهب الامام أحمد رضي الله عنه كذبا وتسترا وزورا

والامام أحمد برىء منه ولذلك انتدب كثير من علماء الحنابلة المعاصرين له للرد عليه وألفوا فى الرد عليه رسائل كثيرة حتى أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ألف رسالة فى الرد عليه وأعجب من ذلك أنه كان يكتب الى عماله الذين هم من أجهل الجاهلين اجتهدوا بحسب فهمكم ونظركم واحكموا بما ترونه مناسبا لهذا الدين ولا تلتفتوا لهذه الكتب فان فيها الحق والباطل وقتل كثيرا من العلماء والصالحين وعوام المسلمين لكونهم لم يوافقوه على ما ابتدعه وكان يقسم الزكاة على ما يأمره به شيطانه وهواه وكان أصحابه لا ينتحلون مذهبا من المذاهب بل يجتهدون كما كان يأمرهم ويتسترون ظاهرا بمذهب الامام أحمد رضى الله عنه ويلبسون بذلك على العامة وكان ينهى عن الدعاء بعد الصلاة ويقول ان ذلك بدعة وانكم تطلبون أجرا على الصلاة وأمر القائم بدينه عبد العزيز بن سعود أن يخاطب المشرق والمغرب برسالة يدعوهم الى التوحيد وانهم عنده مشركون شركا أكبر يستبيح به الدم والمال فكان ضابط الحق عنده ما وافق هواه وان خالف النصوص الشرعية واجماع الائمة وضابط الباطل عنده ما لم يوافق هواه وان كان على نص جلى أجمعت عليه الامة وكان يقول فى كثير من أقوال الائمة الاربعة ليست بشىء وتارة يتستر ويقول ان الائمة على حق

ويقدح فى أتباعهم من العلماء الذين ألفوا فى المذاهب الاربعة وحرروها ويقول انهم ضلوا وأضلوا وتارة يقول ان الشريعة واحدة فما لهؤلاء جعلوها مذاهب أربعة هذا كتاب الله وسنة رسوله لا نعمل الا بهما ولا نقتدى بقول مصرى وشامى وهندى يعنى بذلك أكابر علماء الحنابلة وغيرهم ممن لهم تأليف فى الرد عليه واحتجوا فى الرد عليه بنصوص الامام أحمد رضى الله عنه

وكان يخطب للجمعة فى مسجد الدرعية ويقول فى كل خطبة ومن توسل بالنبى فقد كفر وكان أخوه الشيخ سليمان ينكر عليه انكارا شديدا فى كل ما يفعله أو يأمر به ولم يتبعه فى شىء مما ابتدعه وقال له أخوه سليمان يوما كم أركان الاسلام يا محمد بن عبد الوهاب فقال بل أنت جعلتها

سنة السادس من لم يتبعك فليس بمسلم هذا ركن سادس عندك للاسلام وقال رجل آخر يوما لمحمد
ابن عبد الوهاب كم يعتق الله كل ليلة فى رمضان فقال له يعتق فى كل ليلة مائة ألف وفى آخر ليلة يعتق
مثل ما أعتق فى الشهر كله فقال له لم يبلغ من تبعك عشر عشر ما ذكرت فمن هؤلاء المسلمون الذين
يعتقهم الله تعالى وقد حصرت المسلمين فيك وفيمن تبعك فبهت الذى كفر ولما طال النزاع بينه
وبين أخيه خاف أخوه أن يأمر بقتله فارتحل الى المدينة وألف رسالة فى الرد عليه وأرسلها
له فلم ينته وقال له رجل مرة وكان رئيسا على قبيلة لا يقدر أن يسطوا به ما تقول اذا أخبرك رجل
صادق ذو دين وأمانة وأنت تعرف صدقه بأن قوما كثيرين قصدوك وهم وراء الجبل الفلانى
فأرسلت ألف خيال ينظرون القوم الذين وراء الجبل فلم يجدوا للقوم أثرا ولا أحد منهم جاء تلك
الارض أصلا تصدق الالف أم الواحد الصادق عندك فقال أصدق الالف فقال له اذن جميع
المسلمين من العلماء الاحياء والاموات فى كتبهم يكذبون ما أتيت به ويزيفونه فنصدقهم ونكذبك
فلم يعرف جوابا لذلك وقال له رجل آخر هذا الدين الذى جئت به متصل أو منفصل فقال له حتى
مشايخى ومشايخهم الى ستمائة سنة كلهم مشركون فقال له الرجل اذن دينك منفصل لا متصل

فعمن أخذته فقال وحي الهام كالخضر فقال له اذن ليس ذلك محصوراً فيك كل أحد يمكنه ان يدعي
وحي الالهام الذي تدعيه ثم قال له ان التوسل مجمع عليه عند أهل السنة حتى ابن تيمية فانه ذكر فيه
وجهين ولم يذكر ان فاعله يكفر حتى الرافضة والخوارج والمبتدعة كافة فانهم قائلون بصحة التوسل
به صلى الله عليه وسلم فلا وجه لك في التكفير أصلا فقال محمد بن عبد الوهاب ان عمر استسقى بالعباس
فلم يستسق بالنبي صلى الله عليه وسلم ومقصد محمد بن عبد الوهاب بذلك ان العباس كان حيا وان
النبي صلى الله عليه وسلم ميت فلا يستسقى به فقال له ذلك الرجل هذا حجة عليك فان استسقاء عمر
بالعباس انما كان لاعلام الناس صحة التوسل بغير النبي صلى الله عليه وسلم وكيف تحتج باستسقاء
عمر بالعباس وعمر هو الذي روى حديث توسل آدم بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يخلق فالتوسل
بالنبي صلى الله عليه وسلم كان معلوما عند عمر وغيره وانما أراد عمر أن يبين للناس ويعلمهم صحة
التوسل بغير النبي صلى الله عليه وسلم فبهت وتحير وبقي على عماوته ومن قبائحه الشنيعة انه منع
الناس من زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فبعد منعه خرج أناس من الاحساء وزاروا النبي صلى
الله عليه وسلم وبلغه خبرهم فلما رجعوا امر وا عليه في الدرعية فأمر بحلق لحاهم ثم أركبهم مقلوبين
من الدرعية الى الاحساء وبلغه مرة ان جماعة من الذين لم يتابعوه من الآفاق البعيدة قصدوا
الزيارة والحج وعبروا على الدرعية فسمعه بعضهم يقول لمن تبعه خلوا المشركين يسيرون طريق
المدينة والمسلمين يعني جماعته يخلفون معنا والحاصل انه لبس على الاغبياء ببعض الاشياء التي
توهمهم باقامة الدين وذلك مثل أمره للبوادي باقامة الصلاة والجماعة ومنعهم من النهب ومن بعض
الفواحش الظاهرة كالزنا واللواط وكتأمين الطرق والدعوة الى التوحيد فصار الاغبياء
الجاهلون يستحسنون حاله وحال اتباعه ويغفلون ويذهلون عن تكفيرهم الناس من منذ ستمائة
سنة وعن استباحتهم أموال الناس ودمائهم وانتهاكهم حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بارتكابهم
أنواع التحقير له ولمن أحبه وغير ذلك من قبائحهم التي ابتدعوها وكفروا الامة بها وقد اعتنى
كثير من العلماء من أهل المذاهب الاربعة بالرد عليهم في كتب مبسوطة عملا بقول النبي صلى الله
عليه وسلم اذا ظهرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وبقوله صلى الله
عليه وسلم ما ظهر أهل بدعة الا أظهر الله فيهم حجته على لسان من شاء من خلقه فلذلك انتدب

للرد عليه علماء المشرق والمغرب من أهل المذاهب الاربعة وسألوه عن مسائل يعرفها أقل طلبة العلم فلم يقدر على الجواب عنها فمن ألف فى الرد عليه العلامة الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق فانه ألف كتابا فى الرد عليه سماه تهكم المقلدين بمدعى تجديد الدين ورد عليه فى كل مسئلة من مسائله التى ابتدعها وسأله عن أشياء تتعلق بالعلوم الشرعية والادبية بسؤالات كتبها وأرسلها له فعجز عن الجواب عن أقلها فضلا عن أجلها فمن جملة ما سأله عنه قوله أسألك عن قوله تعالى والعاديات ضبحا الى آخر السورة التى هى من قصار المفصل كم فيها من حقيقة شرعية وحقيقة لغوية وحقيقة عرفية وكم فيها من مجاز مرسل ومجاز مركب واستعارة حقيقية واستعارة وفاقية واستعارة تبعية واستعارة مطلقة واستعارة مجردة واستعارة مرشحة وأين موضع الترشيح أو التجريد والاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية ومافيها من التشبيه الملفوف والمفروق والمفرد والمركب ومافيها من المجمل والمفصل ومافيها من الايجاز والاطناب والمساواة والاسناد الحقيقى والاسناد المجازى المسمى بالمجاز الحكمى والعقلى وأى موضع فيها وضع المضمر موضع المظهر وبالعكس وأين موضع ضمير الشأن وموضع الالتفات وموضع الفصل والوصل وكمال الاتصال وكمال الانقطاع والجامع بين جملتين متعاطفتين ومحل تناسب الجمل ووجه كماله فى الحسن والبلاغة ومافيها من ايجاز قصر وايجاز حذف ومافيها من احتراس وتتميم وبين لنا موضع كل ماذكر وغير ذلك من وجوه الاعجاز ومن طرق التحدى التى اشتملت عليه هذه السورة مما هو منصوص على جميعه فى كتب العلماء فلم يقدر محمد بن عبد الوهاب على الجواب عن شئ مما سأله عنه الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق جزاه الله خيرا وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء الخوارج فى أحاديث

كثيرة فكانت تلك الاحاديث من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم حيث كانت من الاخبار بالغيب

وتلك الاحاديث صحيحة بعضها فى الصحيحين وبعضها فى غيرهما فمنها قوله صلى الله عليه وسلم الفتنة

من ههنا الفتنة من ههنا واشار الى المشرق وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من قبل المشرق

يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود

السهم الى فوقه يعنى موضع الوتر سيماهم التحليق وقوله صلى الله عليه وسلم سيكون فى أمتى اختلاف

وفرقة قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل يقرؤن القرآن لا يجاوز ايمانهم تراقيهم يمرقون من

الدين مروق السهم من الرمية لا يرجعون حتى يعود السهم الى فوقه هم شر الخلق والخليقة طوبى لمن

قتلهم أو قتلوه يدعون الى كتاب الله وليسوا منه فى شئ من قتلهم كان أولى بالله منهم سيماهم التحليق

وقوله صلى الله عليه وسلم سيخرج فى آخر الزمان قوم احداث الاسنان سفهاء الاحلام يقولون قول

خير البرية يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فاذا

لقيتموهم فاقتلوهم فان فى قتلهم اجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة وقوله صلى الله عليه وسلم أناس

من أمتي سيماهم التحليق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية هم شرار الخلق والخليقة وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم الى فوقه سيماهم التحليق وقوله صلى الله عليه وسلم رأس الكفر نحو المشرق والفخر والخيلاء فى أهل الخيل والابل وقوله صلى الله عليه وسلم من ههنا جاءت الفتن وأشار نحو المشرق وقوله صلى الله عليه وسلم غلظ القلوب والجفاء بالمشرق والايمان فى أهل الحجاز وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لنا فى شامنا اللهم بارك لنا فى يمننا قالوا يارسول الله وفى نجدنا قال فى الثالثة هنالك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون آخرهم مع المسيح الدجال وفى قوله صلى الله عليه وسلم سيماهم التحليق تنصيص على هؤلاء القوم الخارجين من المشرق التابعين لمحمد بن عبد الوهاب فيما ابتدعه لانهم كانوا يأمرون من اتبعهم ان يحلق رأسه لا يتركونه يفارق مجلسهم اذا تبعهم حتى يحلقوا رأسه ولم يقع مثل ذلك قط من أحد من الفرق الضالة التى مضت قبلهم ان يلتزموا مثل ذلك فالحديث صريح

فيهم وكان السيد عبد الرحمن الاهدل مفتى زبيد يقول لا يحتاج التأليف فى الرد على ابن عبد الوهاب بل يكفى فى الرد عليه قوله صلى الله عليه وسلم سيماهم التحليق فانه لم يفعله أحد من المبتدعة وكان محمد بن عبد الوهاب يأمر أيضا بحلق رؤس النساء اللاتى يتبعنه فاقامت عليه الحجة مرة امرأة دخلت فى دينه وجددت اسلامها على زعمه فأمر بحلق رأسها فقالت له لم تأمر بحلق الرأس للرجال فلو أمرتهم بحلق اللحى لساغ لك ان تأمر بحلق رؤس النساء لان شعر الرأس للنساء بمنزلة اللحية للرجال فبهت الذى كفر ولم يجد لها جوابا لكنه انما فعل ذلك ليصدق عليه وعلى من اتبعه قوله صلى

الله عليه وسلم سيماهم التحليق فان المتبادر منه حلق الرأس فقد صدق صلى الله عليه وسلم فيما قال
وقوله صلى الله عليه وسلم حين أشار الى المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان جاء فى رواية قرنا
الشيطان بصيغة التثنية قال بعض العلماء المراد من قرنى الشيطان مسيلمة الكذاب ومحمد بن عبد
الوهاب وجاء فى بعض الروايات وبها يعنى نجد الداء العضال قال بعض الشراح وهو الهلاك وفى بعض
التواريخ بعد ذكر قتال بنى حنيفة قال ويخرج فى آخر الزمان فى بلد مسيلمة رجل يغير دين الاسلام
وجاء فى بعض الاحاديث التى فيها ذكر الفتن قوله صلى الله عليه وسلم منها فتنة عظيمة تكون فى أمتى
لا يبقى بيت من العرب الا دخلته تصل الى جميع العرب قتلاها فى النار واللسان فيها اشد من وقع
السيف وفى رواية ستكون فتنة صماء بكماء عمياء يعنى تعمى بصائر الناس فيها فلا يرون مخرجا ويصمون
عن استماع الحق من استشرف لها استشرفت له وفى رواية سيظهر من نجد شيطان تتزلزل جزيرة
العرب من فتنته وذكر العلامة السيد علوى بن أحمد بن حسن ابن القطب سيدى عبد الله بن
علوى الحداد فى كتابه الذى ألفه فى الرد على ابن عبد الوهاب المسمى جلاء الظلام فى الرد على النجدى
الذى أضل العوام من جملة الاحاديث التى ذكرها فى الكتاب المذكور حديثا مرويا عن العباس
ابن عبد المطلب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم سيخرج فى ثانى عشر قرنا فى وادى
بنى حنيفة رجل كهيئة الثور لا يزال يلعق براطمه يكثر فى زمانه الهرج والمرج يستحلون أموال
المسلمين ويتخذونها بينهم متجرا ويستحلون دماء المسلمين ويتخذونها بينهم مفخرا وهى فتنة
يعتز فيها الارذلون والسفل تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه ولهذا الحديث
شواهد تقوى معناه وان لم يعرف من خرجه ثم قال السيد المذكور فى الكتاب الذى مر ذكره
وأصرح من ذلك ان هذا المغرور محمد بن عبد الوهاب من تميم فيحتمل انه من عقب ذى الخويصرة
التميمى الذى جاء فيه حديث البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال ان من ضئضئ هذا أو فى عقب هذا قوما يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من

الدين كما يمرق السهم من الرمية يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان لئن أدركتهم لاقتلنهم
قتل عاد فكان هذا الخارجي يقتل أهل الاسلام ويدع أهل الاوثان ولما قتل على بن أبي طالب رضي
الله عنه الخوارج قال رجل الحمد لله الذي أبادهم وأراحنا منهم فقال على رضي الله عنه كلا والذي
نفسي بيده ان منهم لمن هو في اصلاب الرجال لم تحمله النساء وليكونن آخرهم مع المسيح الدجال وجاء
في حديث عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ذكر فيه بني حنيفة قوم مسيلمة الكذاب وقال فيه ان
واديهم لا يزال وادي فتن الى آخر الدهر ولا يزال الدين في بلية من كذابهم الى يوم القيامة وفي رواية
ويل لليمامة ويل لا فراق له وفي حديث ذكره في مشكاة المصابيح سيكون في آخر الزمان قوم يحدثونكم
بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم وأنزل الله في بني تميم ان الذين
ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون وأنزل الله فيهم أيضا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت
النبي قال السيد علوي الحداد المذكور آنفا ان الذي ورد في بني حنيفة وفي ذم بني تميم ووائل شئ كثير
ويكفيك ان أغلب الخوارج وأكثرهم منهم وان الطاغية بن عبد الوهاب من تميم وان رئيس الفرقة

الباغية عبد العزيز من وائل وجاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كنت فى مبدا الرسالة أعرض
نفسى على القبائل فى كل موسم ولم يجبنى أحد جوابا اقبح ولا أخبث من رد بنى حنيفة قال السيد
علوى الحداد لما وصلت الطائف لزيارة حبر الأمة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما اجتمعت
بالعلامة الشيخ طاهر سنبل الحنفى ابن العلامة الشيخ محمد سنبل الشافعى فاخبرنى أنه الف كتابا فى الرد
على هذه الطائفة سماه الانتصار للأولياء الابرار وقال لى لعل الله ينفع به من لم تدخل بدعة النجدى فى
قلبه وأما من دخلت فى قلبه فلا يرجى فلاحه لحديث البخارى يمرقون من الدين ثم لا يعودون فيه قال
السيد علوى الحداد وأما ما نقل عن العلامة الحفظى ساكن الحجاز انه استصوب بعض أفعال
النجدى من جمعة اليد وعلى الصلاة وترك النهب وازالة بعض الفواحش الظاهرة كالزنا واللواط
ومن تأمينه الطرق ودعوته الى التوحيد فهو غلط حيث حسن للناس فعله ولم يطلع على ما ذكرناه من
منكراته وتكفير الامة من ستمائة سنة واحراقه الكتب الكثيرة وقتله لكثير من العلماء وخواص
الناس وعوامهم واستباحته دماءهم وأموالهم واظهار التجسيم للبارى سبحانه وتعالى وعقده
الدروس لذلك وتنقيصه للرسل عليهم الصلاة والسلام وللأولياء ونبشه قبورهم وأمر فى الاحساء ان
تجعل بعض قبور الاولياء محلا لقضاء الحاجة ومنع الناس من قراءة دلائل الخيرات ومن الرواتب
والاذكار ومن قراءة مولد النبى صلى الله عليه وسلم ومن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى
المنائر بعد الاذان وقتل من فعل ذلك وكان يعرض لبعض الغوغاء الطغام بدعوات النبوة ويفهمهم

ذلك من نحوى الكلام ومنع الدعاء بعد الصلاة وكان يقسم الزكاة على هواه وكان يعتقد ان الاسلام
منحصر فيه وفيمن تبعه وان الخلق كلهم مشركون وكان يصرح فى مجالسه وخطبه بكفر المتوسل
بالانبياء والملائكة والاولياء بل يزعم ان من قال لاحد مولانا أو سيدنا فهو كافر ولا يلتفت الى قول
الله تعالى فى سيدنا يحيى عليه السلام وسيدا ولا الى قول النبى صلى الله عليه وسلم للانصار قوموا
لسيدكم يعنى سعد بن معاذ رضى الله عنه ويمنع من زيارة النبى صلى الله عليه وسلم ويجعله كغيره من
الاموات وينكر علم النحو واللغة والفقه والتدريس لهذه العلوم ويقول ان ذلك كله بدعة ثم قال
السيد علوى الحداد والحاصل ان المحقق عندنا من أقواله وأفعاله ما يوجب خروجه عن القواعد
الاسلامية لاستحلاله أمورا مجمعا على تحريمها معلومة من الدين بالضرورة بلا تأويل سائغ مع
تنقيصه الانبياء والمرسلين والاولياء والصالحين وتنقيصهم تعمدا كفر بالاجماع عند الائمة
الاربعة اهـ ولما أراد الله أن يضل محمد بن عبد الوهاب ويضل به خلقا كثيرا سلط عليه الشيطان
فزين له ما ابتدعه من العقائد الزائغة فصار يتنقل فى قرى نجد من قرية الى قرية ويلقى اليهم تلك
العقائد شيأ فشيأ مزخرفة الالفاظ مظهرا لهم انه يريد التوحيد الصحيح والتبرى من الشرك فصدقه
الجاهلون وينتبه لتلبيساته العالمون ومازال كذلك يحبه قوم ويكرهه آخرون فاواه أهل الدرعية
وظن بعض منهم انه رسول لكافة البرية فصنف لهم رسالة سماها كشف الشبهات عن خالق الارض
والسموات كفر فيها جميع المسلمين وزعم ان الناس كفار منذ ستمائة سنة وحمل الآيات التى

نزلت فى الكفار من قريش على أتقياء الامة وكان ممن تبعه وقبل منه كل ما يقول محمد بن سعود أمير
الدرعية واتخذه وسيلة لاتساع الملك وانقياد الاعراب له فصار يدعوهم الى الدين وأثبت فى قلوبهم
ان جميع من هو تحت السبع الطباق مشرك على الاطلاق ومن قتل مشركا فله الجنة فتابعوه
وصارت نفوسهم بهذا الاعتقاد مطمئنة وكان محمد بن سعود يمتثل ما يأمره به فاذا أمره بقتل انسان
أو أخذ ماله سارع الى ذلك فكان محمد بن عبد الوهاب معهم كالنبى فى أمته لا يتركون شيأ مما يقوله
ولا يفعلون شيأ الا بأمره ويعظمونه غاية التعظيم ويجلونه غاية التبجيل ومازال يطيعه حى بعد حى
من أحياء العرب وقبائلها فاتسع ملك محمد بن سعود وملك أولاده بعده حتى ملكوا جزيرة العرب
واذا أراد ان يغزو بلدة من البلدان كتب كتابا بقدر الخنصر فتجيبه العربان وتلبى دعوته من كل
مكان ويحملون على أنفسهم كل ما يحتاجون اليه من مأكل ومشرب وملبس ومركب ولا يكلفونه
بشئ واذا نهبوا شيأ من الناس يدفعون له الخمس ويأخذون الاربعة الاخماس ويسيرون معه أينما
يسير لا يستطيعون مخالفته فى نقير ولا قطمير فاذا ملك قبيلة من العرب سلطها على من دنا منها
واقترب وسلط الاخرى على ما بعدها حتى تبدد شملها فملك أولا الشرق بأكمله ثم اقليم الحساء
والبحرين وعمان ومسكت وقرب ملكه من بغداد والبصرة هذا حده من الشمال ثم رجع الى الجنوب
فملك الحرار بأسرها ثم الحيوف ذوات النخيل وملك الحربية والفرع وجهينة ثم ملك جميع ما بين
مدينة النبى صلى الله عليه وسلم والشام حتى قرب ملكه من الشام وحلب وملك العربان الذين بين
الشام وبغداد وملك عربان المشرق والحجاز والقبائل التى حول الطائف ثم ملك الطائف وكذا

القبائل التي حول مكة ثم دخل مكة بالصلح وكانت الحروب بينه وبين سيدنا الشريف غالب رحمه الله من سنة خمس الى سنة عشرين بعد المائتين والالف الى ان عجز مولانا الشريف غالب عن حربه ولم يبق أحد الا صار من حزبه فدخل مكة بالصلح سنة عشرين واستمر فيها الى غاية سنة سبع وعشرين حين جهزت الدولة العلية عليه بعساكرها المنصورة ووجهت الامر الى الوزير المفخم محمد علي باشا صاحب مصر فأتاه بجيوش من العساكر المنصورة فطهر الارض منه ومن اتباعه ثم جهز ابنه ابراهيم باشا فوصل بجيوشه الى الدرعية سنة ثلاث وثلاثين بعد المائتين والالف فأفنى وأباد من بقي منهم وكان تاريخ خروجهم من مكة سنة ألف ومائتين وسبع وعشرين وقد أرخ ذلك مفتي مكة المفتي عبد الملك القلعي لما سأله مولانا الشريف غالب هل أرختم خروجهم فقال قطع دابر الخوارج

٨٤١	٢٠٧	١٧٩

١٢٢٧

﴿لطيفة﴾ كان رجل صالح من علماء البلدة التي تسمى بالزبير يسمى الشيخ عبد الجبار يصلي اماما في مسجد من مساجد تلك البلدة فاتفق ان اثنين تجاولا في شأن هذه الطائفة بعد ان جاء ابراهيم باشا الى الدرعية ودمرها ودمر من فيها فقال أحد الرجلين لا بد ان يرجع أمر هذا الدين وهذه الدولة كما كانت وقال الآخر لا يرجع أمرهم أبدا كما كان ولا ما كانوا عليه من البدعة ثم اتفقا انهما يذهبان في غد ويصليان صلاة الصبح خلف الشيخ عبد الجبار وينظران ماذا يقرأ في الركعة الاولى بعد الفاتحة ويكون ذلك فألا فيما اختلفا فيه فذهبا وصليا خلفه فقرأ بعد الفاتحة في الركعة الاولى وحرام على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون وسيأتي ان شاء الله الكلام على محاربات مولانا الشريف غالب له

• (ذكر الشبه التي تمسك بها الوهابيه) •

ولكن ينبغي أولا ان نذكر الشبهات التي تمسك بها في اضلال العباد ثم نذكر الرد عليه ببيان ان كل ما تمسك به زور وافتراء وتلبيس على عوام الموحدين فمن شبهاته التي تمسك بها زعمه ان الناس مشركون في توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وبغيره من الانبياء والاولياء والصالحين وفي زيارتهم قبره صلى الله عليه وسلم وندائهم له بقولهم يا رسول الله نسألك الشفاعة وزعم ان ذلك كله اشراك

وحمل الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على الخواص والعوام من المؤمنين كقوله تعالى فلا تدعوا مع الله أحدا وقوله تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقوله تعالى ولا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين وقوله تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وقوله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال وقوله تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير وقوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وامثال هذه الآيات كثير في القرآن كلها حملها على الموحدين قال محمد بن عبد الوهاب ان من استغاث أو توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم أو بغيره من الانبياء والاولياء والصالحين أو ناداه أو سأله الشفاعة فانه يكون مثل هؤلاء المشركين ويكون داخلا في عموم هذه الآيات وجعل زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم أيضا مثل ذلك وقال في قوله تعالى حكاية عن المشركين في اعتذارهم عن عبادة الاصنام ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان المتوسلين مثل هؤلاء المشركين الذين يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فان المشركين ما اعتقدوا في الاصنام انها تخلق شيأ بل يعتقدون ان الخالق هو الله تعالى بدليل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وفي قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فما حكم الله عليهم بالكفر والاشراك الا لقولهم ليقربونا الى الله زلفى فهؤلاء مثلهم هكذا

احتج محمد بن عبد الوهاب ومن تبعه على المؤمنين وهي حجة باطلة فان المؤمنين ما اتخذوا الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا الاولياء آلهة وجعلوهم شركاء لله بل هم يعتقدون انهم عبيد لله مخلوقون له ولا يعتقدون استحقاقهم العبادة ولا انهم يخلقون شيأ ولا انهم يملكون نفعا أو ضرا وانما قصدوا التبرك بهم لكونهم أحباء الله المقربين الذين اصطفاهم واجتباهم وببركتهم يرحم الله عباده ولذلك شواهد كثيرة من الكتاب والسنة سنذكر كثيرا منها فاعتقاد المسلمين ان الخالق النافع الضار هو الله وحده ولا يعتقدون استحقاق العبادة الا لله وحده ولا يعتقدون التأثير لاحد سواه وأما المشركون الذين نزلت فيهم الآيات السابق ذكرها فكانوا يتخذون الاصنام آلهة والاله معناه المستحق للعبادة فهم يعتقدون استحقاق الاصنام للعبادة فاعتقادهم استحقاقها العبادة هو الذي

أوقعهم في الشرك فلما اقيمت عليهم الحجة بانها لا تملك نفعا ولا ضرا قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فكيف يجوز لمحمد بن عبد الوهاب واتباعه ان يجعلوا المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشركين الذين يعتقدون الوهية الاصنام اذا علمت هذا تعلم ان جميع الآيات المتقدم ذكرها وما ماثلها من الآيات خاص بالكفار المشركين ولا يدخل فيها أحد من المؤمنين لانهم لا يعتقدون الوهية غير الله تعالى ولا يعتقدون استحقاق العبادة لغيره وقد تقدم حديث البخاري عن ابن عمر رضى الله عنهما في وصف الخوارج انهم انطلقوا الى آيات نزلت في الكفار فحملوها على المؤمنين فهذا الوصف صادق على ابن عبد الوهاب واتباعه فيما صنعوه ولو كان شئ مما صنعه المؤمنون من التوسل اشرا كا ما كان يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الامة وخلفها فانهم جميعهم كانوا يتوسلون فقد كان من دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك وهذا توسل صريح لا شك فيه وكان يعلم هذا الدعاء أصحابه رضى الله عنهم ويأمرهم بالاتيان به

﴿ذكر الدعاء المسنون عند الخروج من البيت الى الصلاة﴾

فقد روى ابن ماجه باسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته الى الصلاة فقال اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاى هذا اليك فانى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فاسألك ان تعيذني من النار وان تغفر لى ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك وذكره الجلال السيوطي في الجامع الكبير وذكره أيضا كثير من الائمة في كتبهم عند ذكر الدعاء المسنون عند الخروج الى الصلاة بل قال بعضهم ما من أحد من السلف الا وكان يدعو بهذا الدعاء عند خروجه الى الصلاة فانظر قوله أسألك بحق السائلين عليك فان فيه التوسل بكل عبد مؤمن وروى الحديث المذكور أيضا ابن السني باسناد صحيح عن بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنه ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الى الصلاة قال بسم الله آمنت بالله وتوكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك وبحق مخرجي هذا فانى لم أخرج بطرا ولا أشرا ولا رياء ولا سمعة خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك أسألك ان تعيذني من النار وان تدخلني الجنة رواه الحافظ أبو نعيم في عمل اليوم والليلة من حديث أبي سعيد بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الى الصلاة قال اللهم الى آخر ما تقدم في رواية ابن السني ورواه البيهقي في كتاب الدعوات من حديث أبي سعيد أيضا ومحل الاستدلال قوله بحق السائلين عليك فهذا توسل صدر منه صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه ان يقولوه ولم يزل السلف من التابعين واتباعهم ومن بعدهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم الى الصلاة ولم ينكر عليهم أحد في الدعاء به ومما جاء عنه صلى الله عليه وسلم من التوسل قوله صلى الله عليه وسلم اغفر لامى

فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي وهذا اللفظ قطعة من حديث طويل رواه الطبراني في الكبير والاوسط وابن حبان والحاكم وصححوه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما ماتت فاطمة بنت أسد رضي الله عنها وكانت ربت النبي صلى الله عليه وسلم وهي أم علي بن أبي طالب رضي الله عنه دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عند رأسها وقال رحمك الله يا أمي بعد أمي وذكر ثناءه عليها وتكفينها ببرده وأمره بحفر قبرها قال فلما بلغوا اللحد حفره صلى الله عليه وسلم بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه ثم قال الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لامي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي فانك أرحم الراحمين وروى ابن أبي شيبة عن جابر رضي الله عنه مثل ذلك وكذا روى مثله ابن عبد البر عن ابن عباس رضي الله عنهما ورواه أبو نعيم في الحلية عن أنس رضي الله عنه ذكر ذلك كله الحافظ السيوطي في الجامع الكبير ومن الاحاديث الصحيحة التي جاء التصريح فيها بالتوسل ما رواه الترمذي والنسائي والبيهقي والطبراني باسناد صحيح عن عثمان بن حنيف وهو صحابي مشهور رضي الله عنه ان رجلا ضريرا أتى النبي صلى الله

عليه وسلم فقال ادع الله أن يعافيني فقال ان شئت دعوت وان شئت صبرت وهو خير قال فادعه فأمره أن يتوضأ فليحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني أتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقضى اللهم شفعه في فعاد وقد أبصر وفي رواية قال ابن حنيف فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كان لم يكن به ضر قط وخرج هذا الحديث أيضا البخاري في تاريخه وابن ماجه والحاكم في المستدرك باسناد صحيح وذكر الجلال السيوطي في الجامع الكبير والصغير ففي هذا الحديث التوسل والنداء وابن عبد الوهاب يمنع كلا

منهما او يحكم بكفر من فعل ذلك وليس لابن عبد الوهاب أن يقول ان هذا انما كان فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم لان الدعاء استعمله أيضا الصحابة والتابعون بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لقضاء حوائجهم فقد روى الطبرانى والبيهقى ان رجلا كان يختلف الى عثمان رضى الله عنه فى زمن خلافته فى حاجة فكان لا يلتفت اليه ولا ينظر فى حاجته فشكى ذلك لعثمان بن حنيف فقال له ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ثم قل اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبينا محمد نبى الرحمة يا محمد انى أتوجه بك الى ربك لتقضى حاجتى وتذكر حاجتك فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب عثمان رضى

الله عنه فجاء البواب فاخذ بيده فادخله على عثمان فاجلسه معه وقال اذكر حاجتك فذكر حاجته وقضاها ثم قال له ما كان لك من حاجة فاذكرها ثم خرج من عنده فلقى ابن حنيف فقال له جزاك الله خيرا ما كان ينظر فى حاجتى حتى كلمته لى فقال ابن حنيف والله ما كلمته ولكنى شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه ضرير فشكى اليه ذهاب بصره الى آخر الحديث المتقدم فهذا توسل ونداء بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وروى البيهقى وابن أبى شيبة باسناد صحيح ان الناس أصابهم قحط فى خلافة عمر رضى الله عنه فجاء بلال بن الحرث رضى الله عنه الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله استسق لامتك فانهم هلكوا فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وأخبره انهم يسقون وليس الاستدلال بالرؤيا للنبى صلى الله عليه وسلم فان رؤياه وان كانت حقا لكن لا تثبت بها الاحكام لامكان اشتباه الكلام على الرائى لا للشك فى الرؤيا انما الاستدلال بفعل بلال بن الحرث فى اليقظة فانه من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فاتيانه لقبر النبى صلى الله عليه وسلم ونداؤه له وطلبه ان يستسقى لامته دليل على ان ذلك جائز وهو من باب التوسل والتشفع والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم وذلك من أعظم القربات وقد توسل به صلى الله عليه وسلم أبوه آدم قبل وجود سيدنا محمد صلى

الله عليه وسلم حين أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها قال بعض المفسرين في قوله تعالى فتلقى آدم
من ربه كلمات فتاب عليه ان الكلمات هي توسله بالنبي صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي باسناد صحيح
في كتابه دلائل النبوة الذي قال فيه الحافظ الذهبي عليك به فانه كله هدى ونور عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب أسألك بحق محمد
الا ما غفرت لي فقال الله تعالى يا آدم كيف عرفت محمدا ولم أخلقه قال يارب انك لما خلقتني رفعت رأسي
فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف الى اسمك الا أحب
الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم انه لأحب الخلق الي واذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا
محمد ما خلقتك ورواه أيضا الحاكم وصححه والطبراني وزاد فيه وهو آخر الانبياء من ذريتك والى هذا
التوسل أشار الامام مالك رحمه الله تعالى للخليفة الثاني من بني العباس وهو المنصور جد الخلفاء
العباسيين وذلك انه لما حج المنصور المذكور وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم سأل الامام مالكا
وهو بالمسجد النبوي وقال له يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله تعالى بل
استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله
واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ذكره القاضي عياض في الشفاء وساقه باسناد صحيح
وذكره الامام السبكي في شفاء السقام في زيارة خير الانام والسيد السمهودي في خلاصة الوفاء
والعلامة القسطلاني في المواهب اللدنية والعلامة ابن حجر في تحفة الزوار والجوهر المنظم وذكره
كثير من أرباب المناسك في آداب زيارة النبي صلى الله عليه وسلم قال العلامة ابن حجر في الجوهر
المنظم رواية ذلك عن الامام مالك جاءت بالسند الصحيح الذي لا مطعن فيه وقال العلامة الزرقاني في

شرح المواهب ورواها ابن فهد باسناد جيد ورواها القاضي عياض في الشفاء باسناد صحيح رجاله
ثقات ليس في اسنادها وضاع ولا كذاب ومراده بذلك الرد على من لم يصدق رواية ذلك عن الامام
مالك ونسب له كراهية استقبال القبر فنسبة الكراهة الى الامام مالك مردودة واستسقى عمر بن
الخطاب رضي الله عنه في زمن خلافته بالعباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ورضي
عنه لما اشتد القحط عام الرمادة فسقوا وذلك مذكور في صحيح البخاري من رواية أنس بن مالك
رضي الله عنه وذلك من التوسل بل في المواهب اللدنية للعلامة القسطلاني ان عمر رضي الله تعالى
عنه لما استسقى بالعباس رضي الله عنه قال يا أيها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى
للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا به في عمه العباس واتخذوه وسيلة الى الله تعالى ففيه التصريح
بالتوسل وبهذا يبطل قول من منع التوسل مطلقا سواء كان بالاحياء أو بالاموات وقول من منع
ذلك بغير النبي صلى الله عليه وسلم لان فعل عمر رضي الله عنه حجة لقوله صلى الله عليه وسلم ان
الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه رواه الامام أحمد والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما ورواه
الامام أحمد أيضا وأبو داود والحاكم في المستدرك عن أبي ذر رضي الله عنه ورواه أبو يعلى والحاكم
في المستدرك أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه ورواه الطبراني في الكبير عن بلال ومعاوية رضي
الله عنهما وروى الطبراني في الكبير وابن عدي في الكامل عن الفضل بن العباس رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر معي وأنا مع عمر والحق بعدي مع عمر حيث كان وهذا
مثل ما صح في حق علي رضي الله عنه حيث قال صلى الله عليه وسلم في حقه وأدر الحق معه حيث
دار وهو حديث صحيح رواه كثير من أصحاب السنن فكل من عمر وعلي رضي الله عنهما يكون الحق
معه حيث كان وهذان الحديثان من جملة الادلة التي استدل بها أهل السنة على صحة خلافة الخلفاء
الاربعة لان عليا رضي الله عنه كان مع الخلفاء الثلاثة قبله لم ينازعهم في الخلافة فلما جاءت
الخلافة له ونازعه غيره قاتله ومن الادلة الدالة على أن توسل عمر رضي الله عنه بالعباس رضي الله
عنه حجة على جواز قوله صلى الله عليه وسلم لو كان بعدي نبي لكان عمر رواه الامام أحمد والترمذي
والحاكم في المستدرك عن عقبة بن عامر رضي الله عنه ورواه الطبراني في الكبير عن عصمة بن

مالك رضى الله عنه وروى الطبرانى فى الكبير عن أبى الدرداء رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر فانهما حبل الله الممدود من تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها وانما استسقى عمر رضى الله عنه بالعباس ولم يستسق بالنبى صلى الله عليه وسلم ليبين للناس ان الاستسقاء بغير النبى صلى الله عليه وسلم جائز ومشروع لا حرج فيه لان الاستسقاء بالنبى صلى الله عليه وسلم كان معلوما عندهم فلربما يتوهم بعض الناس انه لا يجوز الاستسقاء بغير النبى صلى الله عليه وسلم فبين لهم عمر رضى الله عنه الجواز ولو استسقى بالنبى صلى الله عليه وسلم لافهم انه لا يجوز الاستسقاء بغيره صلى الله عليه وسلم ولا يصح أن يقال انما استسقى بالعباس ولم يستسق بالنبى صلى الله عليه وسلم لان العباس حى والنبى صلى الله عليه وسلم قد مات لان الاستسقاء انما يكون بالحى لان هذا القول باطل مردود بادلة كثيرة منها توسل الصحابة به صلى الله عليه وسلم بعد وفاته كما تقدم فى القصة التى رواها عثمان بن حنيف وكما فى حديث بلال بن الحرث المتقدم وكما فى توسل آدم رواه عمر رضى الله عنه كما تقدم فكيف لا يعتقد عدم صحته بعد وفاته وقد روى التوسل به قبل وجوده مع انه صلى الله عليه وسلم حى فى قبره فتلخص من هذا انه يصح التوسل به صلى الله عليه وسلم قبل وجوده وفى حياته وبعد وفاته وانه يصح التوسل أيضا بغيره من الاخيار كما فعله عمر رضى الله عنه حين استسقى بالعباس رضى الله عنه وذلك من أنواع التوسل كما تقدم وانما خص عمر العباس رضى الله عنهما من بين سائر الصحابة لاظهار شرف أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولبيان انه يجوز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل فان عليا رضى الله عنه كان موجودا وهو أفضل من العباس رضى الله عنه قال بعض العارفين وفى توسل عمر بالعباس رضى

الله عنهما دون النبي صلى الله عليه وسلم نكتة أخرى أيضا زيادة على ما تقدم وهي شفقة عمر رضي الله عنه على ضعفاء المؤمنين وعوامهم فانه لو استسقى بالنبي صلى الله عليه وسلم لربما تتأخر الاجابة لانها معلقة بارادة الله ومشيئته فاذا تأخرت الاجابة ربما يقع وسوسة واضطراب لمن كان ضعيف الايمان بسبب تأخر الاجابة بخلاف ما اذا كان التوسل بغير النبي صلى الله عليه وسلم فانه اذا تأخرت الاجابة لا تحصل تلك الوسوسة ولا الاضطراب والحاصل ان مذهب أهل السنة والجماعة صحة التوسل وجوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته وكذا بغيره من الانبياء والمرسلين والاولياء والصالحين كما دلت عليه الاحاديث السابقة لانا معاشر أهل السنة لا نعتقد تأثيرا ولا خلقا ولا ايجادا ولا اعداما ولا نفعا ولا ضرا الا لله وحده لا شريك له فلا نعتقد تأثيرا ولا نفعا ولا ضرا للنبي صلى الله عليه وسلم باعتبار الخلق والايجاد والتأثير ولا لغيره من الاحياء أو الاموات فلا فرق

في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وكذا بالاولياء والصالحين لا فرق بين كونهم أحياء أو أمواتا لانهم لا يخلقون شيأ وليس لهم تأثير في شيء وانما يتبرك بهم لكونهم أحباء الله تعالى والخلق والايجاد والتأثير لله وحده لا شريك له وأما الذين يفرقون بين الاحياء والاموات فانهم يعتقدون التأثير للاحياء دون الاموات ونحن نقول الله خالق كل شيء والله خلقكم وما تعملون فهؤلاء المجوزون التوسل بالاحياء دون الاموات هم الذين دخل الشرك في توحيدهم لكونهم اعتقدوا تأثير الاحياء دون الاموات فهم الذين اعتقدوا تأثير غير الله تعالى فكيف يدعون المحافظة على التوحيد وينسبون غيرهم الى الاشراك سبحانك

هذا بهتان عظيم فالتوسل والتشفع والاستغاثة كلها بمعنى واحد وليس لها فى قلوب المؤمنين معنى الا التبرك بذكر أحباء الله لما ثبت أن الله يرحم العباد بسببهم سواء كانوا أحياء أو أمواتا فالمؤثر والموجد حقيقة هو الله تعالى وهؤلاء سبب عادى فى ذلك لا تأثير لهم وذلك مثل السبب العادى فانه لا تأثير له وحياة الانبياء فى قبورهم ثابتة بادلة كثيرة استدل بها أهل السنة وكذا حياة الشهداء والاولياء وليس هذا محل بسط الكلام عليها وشبهة هؤلاء المانعين للتوسل انهم رأوا بعض العامة يتوسعون فى الكلام و يأتون بألفاظ توهم انهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى ويطلبون من الصالحين أحياء وأمواتا أشياء جرت العادة بانها لا تطلب الا من الله تعالى و يقولون للولى افعل لى كذا وكذا وربما يعتقدون الولاية فى أشخاص لم يتصفوا بها بل اتصفوا بالتخليط وعدم الاستقامة و ينسبون لهم كرامات وخوارق عادات وأحوالا ومقامات ليسوا بأهل لها ولم يوجد فيهم شئ منها فاغا اراد هؤلاء المانعون للتوسل أن يمنعوا العامة من تلك التوسعات دفعا للايهام وسدا للذريعة وان كانوا يعلمون ان العامة لا تعتقد تأثيرا ولا نفعا ولا ضرا لغير الله تعالى ولا تقصد بالتوسل الا التبرك ولو أسندوا للاولياء شيأ لا يعتقدون فيهم تأثيرا فنقول لهم اذا كان الامر كذلك وقصدتم سد الذريعة فما الحامل لكم على تكفير الامة عالمهم وجاهلهم خاصهم وعامهم وما الحامل لكم على منع التوسل مطلقا بل كان ينبغى لكم أن تمنعوا العامة من الالفاظ الموهمة وتأمروهم بسلوك الادب فى التوسل مع أن تلك الالفاظ الموهمة يمكن حملها على الاسناد المجازى مجازا عقليا كما يحمل على ذلك قول القائل هذا الطعام أشبعنى وهذا الماء أروانى وهذا الدواء أو الطبيب نفعنى فان ذلك كله عند أهل السنة محمول على المجاز العقلى فان الطعام لا يشبع والمشبع

هو الله تعالى والطعام سبب عادى لا تأثير له وكذا ما بعده فالمسلم الموحد متى صدر منه اسناد الشئ لغير من هو له يجب حمله على المجاز العقلى واسلامه وتوحيده قرينة على ذلك كما نص على ذلك علماء

المعانى فى كتبهم وأجمعوا عليه وأما منع التوسل مطلقا فلا وجه له مع ثبوته فى الاحاديث الصحيحة ومع صدوره من النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الامة وخلفها فهؤلاء المنكرون للتوسل المانعون منه منهم من يجعله حراما ومنهم من يجعله كفرا واشراكا وكل ذلك باطل لانه يؤدى الى اجتماع معظم الامة على الحرام أو الاشراك لان من تتبع كلام الصحابة والعلماء من السلف والخلف يجد التوسل صادرا منهم بل ومن كل مؤمن فى أوقات كثيرة واجتماع أكثرهم على الحرام أو الاشراك لا يجوز لقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح لا تجتمع أمتى على ضلالة بل قال بعضهم انه حديث متواتر وقال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس فكيف تجتمع كلها أو أكثرها على ضلالة وهى خير أمة أخرجت للناس فاللائق بهؤلاء المنكرين اذا أرادوا سد الذريعة ومنع الالفاظ الموهمة كما زعموا أن يقولوا ينبغى ان يكون التوسل بالادب وبالالفاظ التى ليس فيها ايهام كأن يقول المتوسل اللهم انى أسألك وأتوسل اليك بنبيك صلى الله عليه وسلم وبالانبياء قبله وبعبادك الصالحين ان تفعل بى كذا وكذا الا أنهم يمنعون التوسل مطلقا ولا أن يتجاسروا على تكفير المسلمين الموحدين الذين لا يعتقدون التأثير الا لله وحده لا شريك له ومما تمسك به هؤلاء المنكرون للتوسل قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فان الله نهى المؤمنين فى هذه الآية أن

يخاطبوا النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ما يخاطب بعضهم بعضا كأن ينادوه باسمه وقياسا على ذلك
لا ينبغي أن يطلب من غير الله تعالى كالانبياء والصالحين الاشياء التي جرت العادة بانها لا تطلب الا
من الله تعالى لئلا تحصل المساواة بين الله تعالى وخلقه بحسب الظاهر وان كان الطلب من الله على
سبيل التأثير والايجاد ومن غيره على سبيل التسبب والكسب لكنه ربما يوهم تأثير غير الله تعالى
فمنع من ذلك الطلب لدفع هذا الايهام والجواب ان هذا لا يقتضى المنع من التوسل مطلقا ولا
يقتضى منع الطلب اذا صدر من موحد فانه يحمل على المجاز العقلى بقرينة صدوره من موحد فما
وجه كونه حراما أو شركا فلو قالوا انه خلاف الادب وأجازوا التوسل وشرطوا فيه ان يكون بالادب
والاحتراز عن الالفاظ الموهمة لكان له وجه فالمنع مطلقا لا وجه له ومن الادلة الدالة على صحة
التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ما ذكره العلامة السيد السمهودى فى خلاصة الوفاء حيث
قال روى الدارمى فى صحيحه عن أبى الجوزاء قال قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا الى عائشة
رضى الله عنها فقالت انظروا الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوة الى السماء حتى
لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من
الشحم فسمى عام الفتق قال العلامة المراغى وفتح الكوة عند الجدب سنة أهل المدينة يفتحون كوة
فى أسفل الحجرة وان كان السقف حائلا بين القبر الشريف والسماء قال السيد السمهودى وسنتهم
اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشريف والاجتماع هنالك وليس القصد الا التوسل بالنبى صلى الله

عليه وسلم والاستشفاع به الى ربه لرفعة قدره عند الله تعالى وقال أيضا العلامة السيد السمهودى فى خلاصة الوفاء ان التوسل والتشفع به صلى الله عليه وسلم وبجاهه وبركته من سنن المرسلين وسيرة السلف الصالحين وذكر كثير من علماء المذاهب الاربعة فى كتب المناسك عند ذكرهم زيارة النبى صلى الله عليه وسلم انه يسن للزائر أن يستقبل القبر الشريف ويتوسل الى الله تعالى فى غفران ذنوبه وقضاء حاجاته ويستشفع به صلى الله عليه وسلم قالوا ومن أحسن ما يقول ما جاء عن العتبى وهو مروى أيضا عن سفيان بن عيينة وكل منهما من مشايخ الشافعى رضى الله عنه قال العتبى كنت جالسا عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابى فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول وفى رواية يا خير الرسل ان الله أنزل عليك كتابا صادقا قال فيه ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جئتك مستغفرا من ذنبى مستشفعا بك الى ربى وفى رواية وانى جئتك مستغفرا ربك عز وجل من ذنوبى ثم بكى وأنشأ يقول

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه • فطاب من طيبهن القاع والاكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه • فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال ثم استغفر وانصرف فغلبتنى عيناى فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام قال يا عتبى الحق الاعرابى فبشره ان الله غفر له فخرجت خلفه فلم أجده وليس محل الاستدلال الرؤيا فانها لا تثبت بها أحكام لاحتمال حصول الاشتباه على الرائى فى الكلام كما تقدم ذلك وانما محل الاستدلال كون العلماء استحسنوا للزائر الاتيان بما تقدم ذكره قال العلامة ابن حجر فى الجوهر المنظم وروى بعض الحفاظ عن أبى سعيد السمعانى أنه روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه انهم بعد دفنه صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام جاءهم اعرابى فرمى بنفسه على القبر الشريف على ساكنه

أفضل الصلاة والسلام وحثى ترابه على رأسه وقال يارسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله ماوعينا عنك وكان فيما أنزله عليك قوله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد ظلمت نفسى وجئتك تستغفر لى الى ربى فنودى من القبر الشريف انه قد غفر لك وجاء ذلك عن على أيضا من طريق أخرى ويؤيد ذلك ماصح عنه صلى الله عليه وسلم من قوله حياتى خير لكم تحدثون وأحدث لكم ووفاتى خير لكم تعرض على أعمالكم مارأيت من خير حمدت الله ومارأيت من شر استغفرت لكم ومما ذكره العلماء فى آداب الزيارة انه

يستحب أن يجدد الزائر التوبة فى ذلك الموقف الشريف ويسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلها توبة نصوحا ويستشفع به صلى الله عليه وسلم الى ربه عزوجل فى قبولها ويكثر الاستغفار والتضرع بعد تلاوة قوله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ويقولون نحن وفدك يارسول الله وزوارك جئناك لقضاء حقك والتبرك بزيارتك والاستشفاع بك مما أثقل ظهورنا وأظلم قلوبنا فليس لنا يارسول الله شفيع غيرك نؤمله ولا رجاء غير بابك نصله فاستغفر لنا واشفع لنا عند ربك واسأله ان يمن علينا بسائر طلباتنا ويحشرنا فى زمرة عباده الصالحين والعلماء العاملين وفى الجوهر المنظم أيضا ان اعرابيا وقف على القبر الشريف وقال اللهم ان هذا حبيبك وأنا عبدك والشيطان عدوك فان غفرت لى سر حبيبك وفاز عبدك وغضب عدوك وان لم تغفر لى غضب حبيبك ورضى عدوك وهلك عبدك وأنت يارب أكرم

من أن تغضب حبيبك وترضى عدوك وتهلك عبدك اللهم ان العرب اذا مات فيهم سيد اعتقوا على قبره وان هذا سيد العالمين فاعتقنى على قبره يا أرحم الراحمين فقال له بعض الحاضرين يا أخا العرب ان الله قد غفر لك بحسن هذا السؤال وذكر علماء المناسك أيضا ان استقبال قبره الشريف صلى الله عليه وسلم وقت الزيارة والدعاء أفضل من استقبال القبلة قال العلامة المحقق الكمال بن الهمام ان استقبال القبر الشريف أفضل من استقبال القبلة وأما ما نقل عن الامام أبى حنيفة رضى الله عنه ان استقبال القبلة أفضل فرد ودبما رواه الامام نفسه فى مسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال من السنة استقبال القبر المكرم وجعل الظهر للقبلة وسبقه الى ذلك ابن جماعة فنقل استحباب استقبال القبر الشريف عن الامام أبى حنيفة أيضا ورد قول الكرمانى انه يستقبل القبلة وقال ليس بشئ قال فى الجوهر المنظم ويستدل لاستقبال القبر أيضا بانا متفقون على أنه صلى الله عليه وسلم حى فى قبره يعلم بزائره وهو صلى الله عليه وسلم لو كان حيا لم يسع الزائر الا استقباله واستدبار القبلة فكذا يكون الامر حين زيارته فى قبره الشريف صلى الله عليه وسلم واذا اتفقنا فى المدرس من العلماء بالمسجد الحرام المستقبل للقبلة ان الطلبة يستقبلونه ويستدبرون الكعبة فما بالك به صلى الله عليه وسلم فهذا أولى بذلك قطعا وقد تقدم قول الامام مالك رحمه الله للمنصور ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله تعالى بل استقبله واستشفع به قال العلامة الزرقانى فى شرح المواهب ان كتب المالكية طافحة باستحباب الدعاء عند القبر مستقبلا له مستدبر اللقبلة ثم نقل عن مذهب الامام أبى حنيفة والشافعى رحمهما الله تعالى والجمهور مثل ذلك وأما مذهب الامام أحمد ففيه اختلاف بين علماء مذهبه والراجح عند المحققين منهم انه يستقبل

القبر الشريف كبقية المذاهب وكذا القول فى التوسل فان المرجح عند المحققين منهم جوازه بل استحبابه لصحة الاحاديث الدالة على ذلك فيكون المرجح عند الحنابلة موافقا لما عليه أهل المذاهب الثلاثة وأما ماذكره الالوسى فى تفسيره من ان بعضهم نقل عن الامام أبى حنيفة رضى الله عنه انه منع التوسل فهو غير صحيح اذلم ينقله عن الامام أحد من أهل مذهبه بل كتبهم طافحة باستحباب التوسل ونقل المخالف غير معتبر فاياك ان تغتر بذلك وقد بسط الامام السبكى نصوص المذاهب الاربعة فى استحباب التوسل فى كتابه المسمى شفاء السقام فى زيارة خير الانام فراجعه ان شئت وفى المواهب اللدنية للامام القسطلانى وقف اعرابى على قبره الشريف صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انك أمرت بعتق العبيد وهذا حبيبك وأنا عبدك فأعتقنى من النار على قبر حبيبك فهتف به هاتف ياهذا تسأل العتق لك وحدك هلا سألت العتق لجميع الخلق يعنى من المؤمنين اذهب فقد أعتقتك ثم أنشد القسطلانى أحد البيتين المشهورين وشارحه الزرقانى البيت الآخر وهما

ان الملوك اذا شابت عبيدهم * فى رقهم أعتقوهم عتق أحرار
وأنت ياسيدى أولى بذا كرما * قد شبت فى الرق فاعتقنى من النار

ثم قال فى المواهب وعن الحسن البصرى قال وقف حاتم الاصم على قبره صلى الله عليه وسلم فقال يارب انا زرنا قبر نبيك صلى الله عليه وسلم فلا تردنا خائبين فنودى ياهذا ما أذنا لك فى زيارة قبر حبيبنا الا وقد قبلناك فارجع أنت ومن معك من الزوار مغفورا لكم وقال ابن أبى فديك سمعت بعض من أدركت من العلماء والصلحاء يقول بلغنا ان من وقف عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال هذه

الآية ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وقال صلى
صلى الله عليك يا محمد حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة قال
الشيخ زين الدين المراغي وغيره الاولى أن يقول صلى الله عليك يارسول الله بدل قوله يا محمد للنهي
عن ندائه باسمه حيا وميتا وابن أبي فديك من أتباع التابعين وكان من الائمة الثقات المشهورين
وهو من المروي عنهم في الصحيحين وغيرهما من كتب السنن قال الزرقاني في شرح المواهب اسمه محمد
ابن اسمعيل بن مسلم الديلمي مات سنة مائتين على الصحيح وهذا الذي نقله في المواهب عن ابن أبي
فديك رواه عنه البيهقي وفي شرح المواهب للزرقاني ان الداعي اذا قال اللهم اني أستشفع اليك
بنبيك يا نبي الرحمة اشفع لي عند ربك استجيب له فقد اتضح لك من هذه النصوص المروية عن سلف
الامة وخلفها ان التوسل به صلى الله عليه وسلم وطلب الشفاعة منه وزيارته ثابتة عنهم وانها من
أعظم القربات وان التوسل به واقع قبل خلقه وبعد خلقه في حياته وبعد وفاته ويكون أيضا بعد

البعث في عرصات القيامة وأحاديث التوسل به يوم القيامة في الصحيحين وغيرهما فلا حاجة الى
الاطالة بذكرها فبطل بما ذكرناه من النصوص جميع ما ابتدعه محمد بن عبد الوهاب وما افتراه
ولبس به على المؤمنين قال في المواهب ويرحم الله ابن جابر حيث قال

به قد أجاب الله آدم اذ دعا * ونجى في بطن السفينة نوح
وما ضرت النار الخليل لنوره * ومن أجله نال الفداء ذبيح

ثم قال في المواهب فالتوسل به صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته أكثر من ان يحصى أو يدرك

باستقصا قال وفى كتاب مصباح الظلام فى المستغيثين بخير الانام للشيخ ابن عبد الله بن النعمان طرف من ذلك ثم ذكر فى المواهب كثيرا من البركات التى حصلت له ببركة توسله بالنبى صلى الله عليه وسلم وروى البيهقى عن أنس رضى الله عنه ان اعرابيا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم يستسقى به وأنشد أبياتا أولها

أتيناك والعذراء يدمى لبانها ＊ وقد شغلت أم الصبى عن الطفل

الى أن قال فى تلك الابيات

وليس لنا الا اليك فرارنا ＊ واين فرار الخلق الا الى الرسل

فلم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم هذا البيت بل قال أنس لما أنشده الاعرابى الابيات قام يجر رداءه حتى رقى المنبر فخطب ودعا لهم فلم يزل يدعو حتى أمطرت السماء وهو على المنبر وفى صحيح البخارى انه لما جاء الاعرابى وشكى للنبى صلى الله عليه وسلم القحط فدعا الله فانجابت السماء بالمطر قال صلى الله عليه وسلم لو كان أبو طالب حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال على رضى الله عنه يا رسول الله كانك أردت قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ＊ ثمال اليتامى عصمة للارامل

فتهلل وجه النبى صلى الله عليه وسلم ولم ينكر انشاد البيت ولا قوله يستسقى الغمام بوجهه ولو كان فى ذلك اشراك لانكره ولم يطلب انشاده وكان سبب انشاء البيت من أبى طالب من جملة قصيدة مدح بها النبى صلى الله عليه وسلم ان قريشا أصابهم قحط فاستسقى بهم أبو طالب وتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم فاغدودق عليهم السحاب بالمطر وكان ذلك قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم فانشأ أبو

طالب تلك القصيدة وصح عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا عيسى آمن بمحمد ومر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن قال فى

الجوهر المنظم فاذا كان له صلى الله عليه وسلم هذا الفضل والخصوصية أفلا يتوسل به وذكر القسطلانى فى شرحه على البخارى عن كعب الاحبار ان بنى اسرائيل كانوا اذا قحطوا استسقوا بأهل بيت نبيهم فعلم بذلك أن التوسل مشروع حتى فى الامم السابقة وقال السيد السمهودى فى خلاصة الوفاء ان العادة جرت ان من توسل عند شخص بمن له قدر عنده يكرمه لاجله ويقضى حاجته وقد يتوجه بمن له جاه الى من هو أعلى منه واذا اجاز التوسل بالاعمال الصالحة كما فى صحيح البخارى فى حديث الثلاثة الذين أووا الى غار فاطبق عليهم فتوسل كل واحد منهم الى الله تعالى بارجى عمل له فانفرجت الصخرة التى سدت الغار عليهم فالتوسل به صلى الله عليه وسلم أحق وأولى لما فيه من النبوة والفضائل سواء كان ذلك فى حياته أو بعد وفاته فالمؤمن اذا توسل به انما يريد نبوته التى جمعت الكمالات وهؤلاء المانعون للتوسل يقولون بجواز التوسل بالاعمال الصالحة مع كونها اعراضا فالذوات الفاضلة أولى فان عمر رضى الله عنه توسل بالعباس رضى الله عنه وأيضا لو سلمنا لهم ذلك فنقول لهم اذا جاز التوسل بالاعمال الصالحة فما المانع من جوازها بالنبى صلى الله عليه وسلم باعتبار ما قام به من النبوة والرسالة والكمالات التى فاقت كل كمال وعظمت على كل عمل صالح فى الحال والمآل مع ما ثبت من الاحاديث الدالة على ذلك وعلى الاذن فيه ومثله سائر الانبياء.

والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وكذا الاولياء وعباد الله الصالحون لما فيهم من الطهارة القدسية ومحبة رب البرية وحيازة أعلى مراتب الطاعة واليقين والمعرفة لله رب العالمين وذلك كله سبب لكونهم من عباد الله المقربين فيقضي سبحانه وتعالى بالتوسل بهم حوائج المؤمنين وينبغي أن يكون ذلك التوسل مع الادب الكامل واجتناب الالفاظ الموهمة تأثير غير الله تعالى ومن ادلة جواز التوسل قصة سواد بن قارب رضى الله عنه التي رواها الطبراني في الكبير وفيها ان سواد بن قارب انشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته التي فيها

فاشهد ان الله لا رب غيره * وانك مأمون على كل غائب

وانك أدنى المرسلين وسيلة * الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب

فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل * وان كان فيما فيه شيب الذوائب

وكن لى شفيعا يوم لا ذو شفاعة * بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله أدنى المرسلين وسيلة ولا قوله وكن لى شفيعا وكذا من أدلة التوسل مرثية صفية رضى الله عنها عمة النبي صلى الله عليه وسلم فانها رثته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بأبيات قالت فيها

ألا يا رسول الله أنت رجاؤنا * وكنت بنا برا ولم تك جافيا

ففيها النداء مع قولها أنت رجاؤنا وسمع تلك المرثية الصحابة رضى الله عنهم ولم ينكر عليها أحد قولها يا رسول الله أنت رجاؤنا قال العلامة ابن حجر في كتابه المسمى بالخيرات الحسان في مناقب

الامام أبي حنيفة النعمان فى الفصل الخامس والعشرين ان الامام الشافعى أيام هو ببغداد كان يتوسل بالامام أبي حنيفة رضى الله عنه يجيء الى ضريحه يزوره فيسلم عليه ثم يتوسل الى الله تعالى به فى قضاء حاجاته وقد ثبت توسل الامام أحمد بالشافعى رضى الله عنهما حتى تعجب ابنه عبد الله بن الامام أحمد من ذلك فقال له الامام أحمد ان الشافعى كالشمس للناس وكالعافية للبدن ولما بلغ الامام الشافعى ان أهل المغرب يتوسلون الى الله تعالى بالامام مالك لم ينكر عليهم وقال الامام أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه من كانت له الى الله تعالى حاجة وأراد قضاءها فليتوسل الى الله تعالى بالامام الغزالى وذكر العلامة ابن حجر فى كتابه المسمى بالصواعق المحرقة لاهل الضلال والزندقة ان الامام الشافعى رضى الله عنه توسل بأهل البيت النبوى حيث قال

آل النبي ذريعتي * وهم اليه وسيلتي
ارجو بهم أعطى غدا * بيدى اليمين صحيفتي

(ذكر دعاء يقال بين سنة الفجر وفرضه)

وذكر العلامة السيد طاهر بن محمد بن هاشم باعلوى فى كتابه المسمى مجمع الاحباب فى ترجمة الامام أبي عيسى الترمذى صاحب السنن انه رأى فى المنام رب العزة وسأله عما يحفظ عليه الايمان ويتوفاه عليه قال فقال لى قل بعد صلاة ركعتى الفجر قبل صلاة فرض الصبح الهى بحرمة الحسن وأخيه وجده وبنيه وأمه وأبيه نجنى من الغم الذى أنا فيه ياحى ياقيوم ياذا الجلال والاكرام أسالك ان تحيى قلبى بنور معرفتك يا الله يا الله يا الله يا أرحم الراحمين فكان الامام الترمذى يقول ذلك دائما بعد صلاة الصبح ويأمر أصحابه به ويحثهم على المواظبة عليه فلو كان التوسل ممنوعا لما

وعمله هذا الامام ولا أمر بفعله والمواظبة عليه وهو امام حجة يقتدى به بل هذا الامر أعنى التوسل لم ينكره قط أحد من السلف والخلف حتى جاء هؤلاء المنكرون وفى الاذكار للنووى ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر ان يقول العبد بعد ركعتى الفجر ثلاثا اللهم رب جبريل وميكائل واسرافيل ومحمد صلى الله عليه وسلم أجرنى من النار قال فى شرح الاذكار خص هؤلاء بالذكر للتوسل بهم فى قبول الدعاء والا فهو سبحانه وتعالى رب جميع المخلوقات فأفهم ذلك انه من التوسل المشروع وفى شرح حزب البحر للامام زروق بعد ذكر كثير من الاخيار اللهم انا نتوسل اليك بهم فانهم أحبوك وما أحبوك حتى أحببتهم فبحبك اياهم وصلوا الى حبك ونحن لم نصل الى حبهم فيك فتمم لنا ذلك مع العافية الكاملة الشاملة حتى نلقاك يا أرحم الراحمين

(ذكر دعاء تنوير البصر)

ولبعض العارفين دعاء مشتمل على قوله اللهم رب الكعبة وبانيها وفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها نور بصرى وبصيرتى وسرى وسريرتى وقد جرب هذا الدعاء لتنوير البصر وان من ذكره عند الاكتحال نور الله بصره وذلك من الاسباب العادية وهى لا تأثير لها والمؤثر هو الله وحده لا شريك له فكما ان الله تعالى جعل الطعام والشراب سببين للشبع والرى لا تأثير لهما والمؤثر هو الله تعالى وجعل الطاعة سببا للسعادة ونيل الدرجات جعل أيضا التوسل بالاخيار الذين عظمهم الله وأمر بتعظيمهم سببا لقضاء الحاجات فليس فى ذلك كفر ولا اشراك ومن تتبع أذكار السلف والخلف وأدعيتهم وأورادهم وجدها كلها مشتملة على التوسل ولم ينكر ذلك أحد عليهم حتى جاء هؤلاء المنكرون

ولو تتبعنا ما وقع من أكابر الامة من التوسل لامتلأت بذلك الصحف وفيما ذكر كفاية وانما أطلت الكلام فى ذلك ليتضح الأمر للمتشكك فيه غاية الاتضاح لان كثيرا من أتباع محمد بن عبد الوهاب يلقون الى كثير من الناس شبهات يستميلونهم بها الى اعتقادهم الباطل فعسى أن يقف على هذه النصوص من أراد الله حفظه من قبول شبهاتهم فلا يلتفت اليها ويقيم عليهم الحجة فى ابطالها قال فى الجوهر المنظم ولا فرق فى التوسل بين ان يكون بلفظ التوسل أو التشفع أو الاستغاثة أو التوجه لان التوجه من الجاه وهو علو المنزلة وقد يتوسل بذى الجاه الى من هو أعلى منه جاها والاستغاثة طلب الغوث والمستغيث يطلب من المستغاث به ان يحصل له الغوث من غيره وان كان أعلى منه فالتوجه والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم وبغيره ليس لهما معنى فى قلوب المسلمين غير ذلك ولا يقصد بهما أحد منهم سواه فمن لم ينشرح صدره لذلك فليبك على نفسه نسأل الله العافية والمستغاث به فى الحقيقة هو الله تعالى وأما النبى صلى الله عليه وسلم فهو واسطة بينه وبين المستغيث فهو سبحانه وتعالى مستغاث به حقيقة والغوث منه خلقا وايجادا والنبى صلى الله عليه وسلم مستغاث به مجازا والغوث منه تسببا وكسبا فهو على حد قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى أى وما رميت خلقا وايجادا اذ رميت تسببا وكسبا ولكن الله رمى خلقا وايجادا وكذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وقوله صلى الله عليه وسلم ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم وكثيرا ما تجىء السنة لبيان الحقيقة ويجىء القرآن الكريم باضافة الفعل الى مكتسبه ويسند اليه مجازا كقوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدكم الجنة بعمله مع قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فالآية بيان للسبب

العادى الذى لا تأثير له والحديث بيان للسبب الحقيقى وهو فضل الله تعالى وبالجملة فاطلاق لفظ
الاستغاثة لمن يحصل منه غوث باعتبار الكسب أمر معلوم لا شك فيه لغة ولا شرعا فاذا قلت أغثنى
يا ألله تريد الاسناد الحقيقى باعتبار الخلق والايجاد واذا قلت أغثنى يا رسول الله تريد الاسناد المجازى
باعتبار الكسب والتوسط والتسبب بالشفاعة ولو تتبعت كلام العلماء والائمة لوجدت شيأ كثيرا من
ذلك ومنه ما مر فى صحيح البخارى فى مبحث الحشر ووقوف الناس للحساب يوم القيامة بينما هم كذلك
استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فتأمل تعبيره صلى الله عليه وسلم بقوله استغاثوا
بآدم فان الاسناد مجازى اذ المستغاث به حقيقة هو الله تعالى وصح عنه صلى الله عليه وسلم لمن أراد
عونا أن يقول يا عباد الله أعينونى وفى رواية أغيثونى وجاء فى قصة قارون لما خسف به أنه استغاث
بموسى عليه السلام فلم يغثه وصار يقول يا أرض خذيه فعاتبه الله تعالى حيث لم يغثه وقال له استغاث
بك فلم تغثه ولو استغاث بى لاغثته فاسناد الاغاثة الى الله تعالى اسناد حقيقى والى موسى عليه
السلام مجازى وقد يكون معنى التوسل به صلى الله عليه وسلم طلب الدعاء منه اذ هو حى صلى الله
عليه وسلم يعلم سؤال من يسأله وقد تقدم حديث بلال بن الحرث رضى الله عنه المذكور فيه انه
جاء الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله استسق لامتك أى ادع الله لهم فعلم انه صلى الله
عليه وسلم يطلب منه الدعاء بحصول الحاجات كما كان يطلب منه فى حياته لعلمه بسؤال من يسأله مع
قدرته على التسبب فى حصول ما سئل فيه بسؤاله ودعائه وشفاعته الى ربه عز وجل وانه صلى الله

عليه وسلم يتوسل به فى كل خير قبل بروزه لهذا العالم وبعده فى حياته وبعد وفاته وكذا فى عرصات القيامة فيشفع الى ربه وكل هذا مما تواترت به الاخبار وقام به الاجماع قبل ظهور المانعين منه فهو صلى الله عليه وسلم له الجاه الوسيع والقدر المنيع عند سيده ومولاه المنعم عليه بما حباه وأولاه وأما تخيل بعض المحرومين ان منع التوسل والزيارة من المحافظة على التوحيد وان فعل ذلك مما يؤدى الى الشرك فهو تخيل فاسد باطل فالتوسل والزيارة اذا فعل كل منهما مع المحافظة على آداب الشريعة الغراء لا يؤدى الى محذور البتة والقائل بمنع ذلك سد اللذريعة متقول على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وكان هؤلاء المانعين للتوسل والزيارة يعتقدون أنه لا يجوز تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم فمتى صدر من أحد تعظيم له صلى الله عليه وسلم حكموا على فاعله بالكفر والاشراك وليس الامر كما يقولون فان الله تعالى عظم النبى صلى الله عليه وسلم فى القرآن الكريم باعلى أنواع التعظيم فيجب علينا أن نعظم من عظمه الله تعالى وأمر بتعظيمه نعم يجب علينا أن لا نصفه بشئ من صفات الربوبية ورحم الله الشيخ الابوصيرى حيث قال

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

فليس فى تعظيمه بغير صفات الربوبية شئ من الكفر والاشراك بل ذلك من أعظم الطاعات والقربات وهكذا كل من عظم الله تعالى كالانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكالملائكة والصديقين والشهداء والصالحين قال الله تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب وقال تعالى ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ومن ذلك الكعبة المعظمة والحجر الاسود ومقام

ابراهيم عليه السلام فانها أحجار وأمرنا الله تعالى بتعظيمها بالطواف بالبيت ومس الركن اليماني
وتقبيل الحجر الاسود وبالصلاة خلف المقام وبالوقوف للدعاء عند المستجار وباب الكعبة والملتزم
ونحن في ذلك كله لم نعبد الا الله تعالى ولم نعتقد تأثيرا لغيره ولا نفعا ولا ضرا فلا يثبت شئ من ذلك
لاحد سوى الله تعالى والحاصل ان هنا أمرين أحدهما وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ورفع
رتبته عن سائر الخلق والثاني افراد الربوبية واعتقادات الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته وصفاته
وأفعاله عن جميع خلقه فمن اعتقد في مخلوق مشاركة البارى سبحانه وتعالى في شئ من ذلك فقد أشرك
كالمشركين الذين كانوا يعتقدون الالوهية للاصنام واستحقاقها العبادة ومن قصر بالرسول صلى الله
عليه وسلم عن شئ من مرتبته فقد عصى أو كفر وأما من بالغ في تعظيمه بانواع التعظيم ولم يصفه
بشئ من صفات البارى عز وجل فقد أصاب الحق وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعا وذلك
هو القول الذى لا افراط فيه ولا تفريط واذا وجد في كلام المؤمنين اسناد شئ لغير الله تعالى يجب
حمله على المجاز العقلى ولا سبيل الى تكفيرهم اذ المجاز العقلى مستعمل في الكتاب والسنة فمن ذلك
قوله تعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فاسناد الزيادة الى الآيات مجاز عقلى لانها سبب في
الزيادة والذى يزيد حقيقة هو الله تعالى وحده وقوله تعالى يوما يجعل الولدان شيبا فاسناد الجعل الى
اليوم مجاز عقلى لان اليوم محل لجعلهم شيبا فالجعل المذكور واقع في اليوم والجاعل حقيقة هو
الله تعالى وقوله تعالى ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا فاسناد الاضلال الى الاصنام مجاز
عقلى لانها سبب في حصول الاضلال والهادى والمضل هو الله تعالى وحده وقوله تعالى حكاية
عن فرعون ياهامان ابن لى صرحا فاسناد البناء لى هامان مجاز عقلى لانه سبب آمر فهو يأمر ولا يبنى
بنفسه والبانى اغماهم الفعلة وأما الاحاديث ففيها شئ كثير يعرفه من وقف عليها وكان ممن

يعرف الفرق بين الاسناد الحقيقي والمجازي فلا حاجة الى الاطالة بنقلها وقال العلماء ان صدور ذلك الاسناد من موحد كاف في جعله اسنادا مجازيا لان الاعتقاد الصحيح هو اعتقاد ان الخالق للعباد وأفعالهم هو الله وحده فهو الخالق للعباد وأفعالهم لا تأثير لاحد سواء لا لحي ولا لميت فهذا

الاعتقاد هو التوحيد المحض بخلاف من اعتقد غير هذا فانه يقع في الاشراك وأما الفرق بين الحي والميت مع اعتقاد ان الحي يخلق أفعال نفسه فهو اعتقاد المعتزلة فلو كان هؤلاء الذين يريدون المحافظة على التوحيد باعتبار زعمهم وأن مرادهم منع الالفاظ الموهمة وسد الذريعة يقتصرون على منع العامة عن الالفاظ الموهمة تأثير غير الله تعالى تأدبا ومع هذا فاذا صدرت منهم تحمل على المجاز العقلي ويجيزون لهم التوسل مع المحافظة على الادب لكان لكلامهم وجه وأما المنع منه بالكلية فهو مصادم للاحاديث الصحيحة ولفعل السلف والخلف فعليك باتباع الجمهور والسواد الاعظم قال الله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالسواد الاعظم فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية وقال صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة قدر شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وقد ذكر العلامة ابن الجوزي في كتابه المسمى تلبيس ابليس أحاديث كثيرة في التحذير من مفارقة السواد الاعظم منها حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خطب في الجابية فقال من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد وفي حديث عرفجة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يد الله على الجماعة والشيطان مع من يخالف الجماعة وحديث أسامة بن شريك رضي الله

عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يد الله على الجماعة فاذا اشذ الشاذ منه اختطفته
الشياطين كما يختطف الذئب الشاة من الغنم وحديث معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ الشاة الشاذة القاصية والنائية
فاياكم والشعاب وعليكم بالجماعة العامة والمسجد وحديث أبي ذر رضى الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال اثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين وأربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة فان
الله تعالى لن يجمع أمتي الا على هدى فهؤلاء المنكرون للتوسل والزيارة فارقوا الجماعة والسواد
الاعظم وعمدوا الى آيات كثيرة من آيات القرآن التي نزلت في المشركين فحملوها على المؤمنين الذين
تقع منهم الزيارة والتوسل وتوصلوا بذلك الى تكفير أكثر الامة من العلماء والصلحاء والعباد والزهاد
وعوام الخلق وقالوا انهم مثل أولئك المشركين الذين قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقد
علمت ان المشركين اعتقدوا الوهية غير الله تعالى واستحقاقه العبادة وأما المؤمنون فلم يعتقد
أحد منهم هذا الاعتقاد فكيف يجعلونهم مثل أولئك المشركين سبحانك هذا بهتان عظيم وشبهة
هؤلاء الخوارج في المنع من طلب الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم انهم يقولون ان الله تعالى قال
في كتابه العزيز من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى فالطالب
للشفاعة من أين يعلم حصول الاذن للنبي صلى الله عليه وسلم في أنه يشفع له حتى يطلب الشفاعة منه
ومن أين يعلم انه ممن ارتضى حتى يطلب الشفاعة منهم واحتجاجهم هذا مردود بالاحاديث الصحيحة

الصريحة فى حصول الاذن له صلى الله عليه وسلم فى أنه يشفع لمن قال بعد الاذان والاقامة اللهم رب
هذه الدعوة التامة الى آخر الدعاء المشهور ولمن صلى على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة ولمن
زار قبره صلى الله عليه وسلم بل جاءت أحاديث كثيرة صريحة فى شفاعته صلى الله عليه وسلم لعصاة
أمته كقوله صلى الله عليه وسلم شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى فكل من مات مؤمنا فانه يدخل
فى شفاعته صلى الله عليه وسلم فهى ثابتة لجميع المؤمنين ومأذون له صلى الله عليه وسلم فيها فالطالب
للشفاعة كانه يتوسل الى الله تعالى بالنبي صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى أن يحفظ عليه الايمان
حتى يتوفاه الله عليه فيشفع فيه نبيه صلى الله عليه وسلم فلا حاجة الى التطويل ببسط الدلائل فى ذلك
مع وضوح الامر الا لمن عميت بصيرته وأما شبهتهم فى المنع من النداء فقالوا ان النداء والخطاب
للجمادات والغائبين والاموات من الشرك الاكبر الذى يباح به الدم والمال ولا مستند لهم فى ذلك
بل الاحاديث الصحيحة الصريحة فى بطلان قولهم هذا وزعموا أن النداء للأموات والغائبين
والجمادات يسمى دعاء وأن الدعاء عبادة بل الدعاء مخ العبادة وحملوا كثيرا من الآيات القرآنية
التى نزلت فى المشركين على الموحدين وقد تقدم ذكر كثير من تلك الآيات وهذا كله منهم تلبيس
فى الدين وتضليل لاكثر الموحدين فانه وان كان النداء قد يسمى دعاء كما فى قوله تعالى لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا لكن ليس كل نداء عبادة ولو كان كل نداء عبادة لشمل ذلك نداء
الاحياء والاموات فيكون كل نداء ممنوعا مطلقا وليس الامر كذلك وانما النداء الذى يكون
عبادة هو نداء من يعتقدون ألوهيته واستحقاقه العبادة فيرغبون اليه ويخضعون بين يديه
فالذى يوقع فى الاشراك هو اعتقاد الوهية غير الله تعالى واعتقاد التأثير لغير الله تعالى وأما مجرد
النداء لمن لا يعتقدون ألوهيته ولا تأثيره فانه ليس عبادة ولو كان لميت أو غائب أو جماد وذلك كله

وارد فى كثير من الاحاديث الصحيحة والآثار الصريحة فقولهم ان نداء الميت والجماد والغائب دعاء وكل دعاء عبادة غير صحيح على اطلاقه وعمومه ولو كان كل نداء عبادة لامتنع نداء الحى والميت فانهما مستويان فى ان كلا منهما لا تأثير له فى شئ ولا يعتقد أحد من المسلمين ألوهية غير الله تعالى ولا تأثير أحد سواه فالدعاء الذى هو مخ العبادة هو الرغبة للاله والخضوع بين يديه وسأذكر لك كثيرا من الاحاديث والآثار التى جاء فيها النداء والخطاب للاموات والغائبين والجمادات وان تقدم

كثير من ذلك فلا بأس باعادته فمنها حديث الضرير الذى رواه عثمان بن حنيف رضى الله عنه فان فيه يا محمد انى أتوجه بك الى ربك وتقدم أن الصحابة رضى الله عنهم استعملوا ذلك بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وحديث بلال بن الحارث رضى الله عنه فان فيه انه جاء الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول استسق لامتك ففيه النداء له بعد وفاته والخطاب بالطلب منه ان يستسقى لامته والاحاديث الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى زيارة القبور فى كثير منها النداء والخطاب للاموات كقوله السلام عليكم يا أهل القبور السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون ففيها نداء وخطاب وهى أحاديث كثيرة لا حاجة الى الاطالة بذكرها وتقدم ان السلف والخلف من أهل المذاهب الاربعة استحبوا للزائر أن يقول تجاه القبر الشريف يارسول الله انى جئتك مستغفرا من ذنبى مستشفعا بك الى ربى وصح عن بلال بن الحرث رضى الله عنه انه ذبح شاة عام القحط المسمى عام الرمادة فوجدها هزيلة فصار يقول وامحمداه وامحمداه وصح أيضا ان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لما قاتلوا مسيلمة الكذاب كان شعارهم وامحمداه وامحمداه وفى الشفاء للقاضى عياض ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما خدلت رجله مرة فقيل له اذكر أحب

الناس اليك فقال وامحمداه فانطلقت رجله وجاء الخطاب وصورة النداء فى التشهد الذى يأتى به المسلم فى كل صلاة وعلمه النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه فان فيه السلام عليك أيها النبى وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا نزل أرضا قال يا أرض ربى وربك الله ففيه الخطاب والنداء للجماد وذكر الفقهاء فى آداب السفر ان المسافر اذا انفلتت دابته بارض ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله احبسوا واذا أضل شيأ أو أراد عونا فليقل يا عباد الله أعينونى أو أغيثونى فان لله عبادا لا تراهم واستدل الفقهاء على ذلك بما رواه ابن السنى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا فان لله عبادا يجيبونه ففيه نداء وطلب نفع أى التسبب فى ذلك من عباد الله الذين لم يشاهدهم وفى حديث آخر رواه الطبرانى انه صلى الله عليه وسلم قال اذا أضل أحدكم شيأ أو أراد عونا وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل يا عباد الله أعينونى وفى رواية أغيثونى فان لله عبادا لا تروتهم قال العلامة ابن حجر فى حاشية ايضاح المناسك وهو مجرب كما قاله الراوى

﴿دعاء يؤتى به فى السفر اذا أقبل الليل﴾

وروى أبو داود وغيره عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر فأقبل الليل قال يا أرض ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك وشر

مايدب عليك أعوذ بالله من أسد وأسود ومن الحية والعقرب ومن شر ساكن البلد ووالد وما ولد
وذكر الفقهاء فى آداب السفر انه يسن للمسافر الاتيان بهذا الدعاء عند اقبال الليل وفيه النداء
والخطاب للجماد وروى الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما والدارمى عن طلحة بن عبد الله رضى
الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى الهلال قال ربى وربك الله ففيه خطاب للجماد وصح
انه لما توفى صلى الله عليه وسلم أقبل أبو بكر رضى الله عنه حين بلغه الخبر فدخل على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله ثم بكى وقال بابى أنت وأمى طبت حيا وميتا
اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك وفى رواية للامام أحمد فقبل جبهته ثم قال وانبياه ثم
قبله ثلاثا وقال واصفياه ثم قبله ثلاثا وقال واخليلاه ففى ذلك نداء وخطاب له صلى الله عليه وسلم
بعد وفاته ولما تحقق عمر رضى الله عنه وفاته صلى الله عليه وسلم بقول أبى بكر رضى الله عنه قال
وهو يبكى بابى أنت وأمى يارسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت
منبرا لتسمعهم من الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك أولى بالحنين عليك حين
فارقتهم بابى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك ان جعل طاعتك طاعته فقال من
يطع الرسول فقد أطاع الله بابى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك آخر
الانبياء وذكرك فى أولهم فقال واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بابى أنت وأمى
يارسول لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها
يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا بابى أنت وأمى يارسول الله لقد اتبعك فى قصر عمرك
من لم يتبع نوحا فى كبر سنه وطول عمره فانظر الى هذه الالفاظ التى صدرت من عمر رضى الله عنه وقد

تعدد فيها النداء له صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وقد رواها كثير من أئمة الحديث وذكرها القاضي عياض فى الشفاء والغزالى فى الاحياء والقسطلانى فى المواهب اللدنية وابن الحاج فى المدخل فيبطل بها وبغيرها قول المانعين للنداء القائلين ان كل نداء دعاء وكل دعاء عبادة وروى البخارى عن أنس رضى الله عنه ان فاطمة رضى الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لما توفى رسول صلى الله عليه وسلم يا أبتاه أجاب ربا دعاه يا أبتاه جنة الفردوس مأواه يا أبتاه الى جبريل ننعاه وفى رواية الى جبريل نعاه والنعى هو الاخبار بالموت وقد يكون الاخبار للعالم عوته تأسفا على فقده فبكل من الروايتين صح فى المعنى فى هذا الحديث أيضا نداؤه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وفى المواهب ورثته عمته صفية رضى الله عنها بمراث كثيرة قالت فى مطلع قصيدة منها

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا • وكنت بنا برا ولم تك جافيا

فنى البيت نداؤه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ولم ينكره عليها أحد من الصحابة رضى الله عنهم مع حضورهم وسماعهم له ومما جاء من النداء للميت التلقين له بعد دفنه وقد ذكره كثير من الفقهاء واستندوا فى ذلك الى حديث الطبرانى عن أبى أمامة رضى الله عنه واعتضد بشواهد وصورته أن يقول للميت عند قبره بعد دفنه يا عبد الله ابن أمة الله اذكر العهد الذى خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان الجنة حق وأن النار حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور قل رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالكعبة قبلة وبالمسلمين اخوانا ربى لا اله الا هو رب العرش العظيم فنى

التلقين النداء والخطاب للميت وحديث نداء النبي صلى الله عليه وسلم كفار قريش المقتولين ببدر بعد القائهم في القليب مشهور رواه البخاري وأصحاب السنن وذكروا ان النبي صلى الله عليه وسلم جعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم ويقول أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وأما ما جاء من الآثار عن الائمة الاحبار والعلماء الاخيار والاولياء الكبار مما يدل على جواز ذلك النداء والخطاب فشئ كثير تنقضي دون نقله الاعمار ومضى على ذلك القرون والاعصار وما وقع منهم انكار فكيف يجوز الاقدام على تكفير المسلمين بشئ قام على ثبوته البراهين وفي الحديث الصحيح من قال لاخيه المسلم يا كافر فقد باء بها أحدهما ان كان كما قال والا رجعت عليه قال العلماء ترك قتل ألف كافر أولى من اراقة دم امرئ مسلم فيجب الاحتياط في ذلك فلا يحكم بالكفر على أحد من أهل القبلة الا بواضح قاطع للاسلام وممن رد على محمد بن عبد الوهاب أحد أشياخه وهو الشيخ محمد بن سليمان الكردي صاحب حواشي شرح مختصر بافضل ومن جملة ما قاله في الرسالة التي ردبها عليه يا ابن عبد الوهاب سلام على من اتبع الهدى فاني أنصحك لله تعالى ان تكف لسانك عن المسلمين فان سمعت من شخص انه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به من دون الله تعالى فعرفه الصواب وأبن له الادلة على انه لا تأثير لغير الله فان أبى فكفره حينئذ بخصوصه ولا سبيل لك الى تكفير السواد الاعظم من المسلمين وأنت شاذ عن السواد الاعظم فنسبة الكفر الى من شذ عن السواد الاعظم أقرب لانه اتبع غير سبيل المؤمنين قال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية اه والحاصل ان الذين اعتنوا بالرد عليه خلائق لا يحصون من مشارق الارض ومغاربها من أرباب المذاهب الاربعة في كتب مبسوطة ومختصرة وبعضهم التزم الرد عليه بنصوص مذهب الامام أحمد ليبين له انه كاذب متلبس في انتسابه

لمذهب الامام أحمد رضى الله عنه وأما زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقد فعلها الصحابة ومن بعدهم من سلف الامة وخلفها وانعقد الاجماع على استحبابها وجاء فى فضلها والترغيب فيها أحاديث كثيرة منها مارواه البيهقى وعمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من زار قبرى كنت له شفيعا وشهيدا وهذه شفاعة خاصة للزائر غير شفاعته صلى الله عليه وسلم للعصاة وروى الدارقطنى وابن السكن وغيرهما عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما من زار قبرى وجبت له شفاعتى وفى رواية من جاءنى زائرا لا تعمله حاجة غير زيارتى كان حقا على أن أكون له شفيعا يوم القيامة وفى رواية لابن منده من زارنى فى مسجدى بعد وفاتى كان كمن زارنى فى حياتى وفى رواية لابن عدى من حج البيت ولم يزرنى فقد جفانى والمراد من الجفاء غلظ الطبع والبعد والاعراض عن المحبوب والمراد انه فعل فعل الجافى لا أنه جفا جفاء حقيقيا لان ذلك أذى ولا يجوز أذاه صلى الله عليه وسلم وفى رواية للدارقطنى من زارنى متعمدا كان فى جوارى يوم القيامة ومن مات فى أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة زاد فى رواية ومن سكن المدينة وصبر على بلائها كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة وفى رواية رواها ابن جريج عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارنى فى مماتى كان كمن زارنى فى حياتى ومن زارنى حتى ينتهى الى قبرى كنت له يوم القيامة شهيدا أو قال شفيعا والاحاديث الواردة فى ذلك كثيرة لا حاجة لنا الى الاطالة بذكرها مع اجماع السلف والخلف على استحبابها حتى ظهر المنكرون لها المانعون منها وفى هذا القدر كفاية ومقنع لمن كان عمرآى من التوفيق ومسمع وبمجموع ماذكرناه يبطل جميع ما ابتدعه محمد بن عبد الوهاب ولبس به على المؤمنين واستباح هو ومن تبعه دماءهم وأموالهم ولم ينتدب لمحاربته ومن تبعه أحد مثل سيدنا الشريف غالب رحمه الله

تعالى فانه قام بهذا الامر أتم قيام وبذل فيه جميع وسعه سنين متطاولة فجزاه الله عن الاسلام
والمسلمين خيرا وتقدم أن الشريف مسعودا ومساعدا وأحمد بن سعيد ومسرورا كل منهم لم يأذن
لاحد من أتباعه في الحج

هذا جل ما ذكر في مخطوطة خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام للعلامة مفتي مكة أحمد بن زيني دحلان عن الفرقة الضالة المسماة بالوهابية